

المحور الثاني:

الأخلاق

موضوعات المحور

- تزكية النفس.
- مراقبة النفس.
- الأمراض الأخلاقية (1-2).
- آفات اللسان (1-2).
- تهذيب الجوارح (1-2).
- من محاسن الأخلاق (بِرّ الوالدين-الصبر).
- علاقة المؤمن بمحيطة الاجتماعي (1-4).

الدرس الأول: تزكية النفس

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يتعرف إلى أهمية تزكية النفس والحاجة إليها.
- 2- يحدد الخطوات العملية لتهديب النفس وتزكيتها.
- 3- يستذكر الثمار والآثار الطيبة لتزكية النفس.

أهمية تزكية النفس

تحتل الأخلاق الإسلامية مكانة خاصة في مجموع التعاليم الإسلامية، ولذا جعل الله سبحانه الهدف الأساس من بعثة الأنبياء والرسل تربية الإنسان على الأخلاق الحسنة وهذا ما يؤكد الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾¹.

وفي قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ".

لماذا تزكية النفس؟

وردت كلمة النفس في القرآن الكريم بصيغ ثلاث: النفس المطمئنة، والنفس اللوامة، والنفس الأمارة بالسوء، ولكننا سنقتصر في حديثنا على النفس الأمارة بالسوء، وهي النفس التي تحوي في داخلها مجموعة من الغرائز والميول والرغبات، التي تؤدي بصاحبها إلى ارتكاب بعض الذنوب والآثام، ويقع في المعصية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾² وهي النفس التي تأمر على الدوام بالمعاصي والذنوب.

وهذا ما يوجب على الإنسان أن يعمل على مواجهة الرغبات والميول التي تسول للنفس، وتزيّن لها بعض الممارسات السيئة.

¹ سورة آل عمران، الآية 164.

² سورة يوسف، الآية 53.

كيف نواجه الممارسات السيئة؟

إنّ مواجهة الممارسات السيئة تتطلب اتباع خطوات محدّدة تجعل من الإنسان شخصاً قادراً على التحكّم بالمبول والرغبات.

وهذه الخطوات تتمثّل بالنقاط التالية:

1- التعرّف إلى محاسن الأخلاق ومساوئها: إنّ الكثير من الأمور قد يرتكبها الإنسان، وهو لا يعرف مدى قبحها، ومضارّها على نفسه وعلى الآخرين، وهذا ما يجعله يتعدّد عن الكثير من الآداب الأخلاقية نتيجة جهله بها، ولذا لا بدّ له كخطوة أولى في تهذيب النفس من أن يسعى للتعرف على الأخلاق الحسنة والسيئة.

2- التحصّن بالتقوى: إنّ تقوى الله - أي الشعور بالخوف من الله - عند الإقدام على أيّ عمل، هو الذي يمنع الإنسان من الوقوع في المعصية ويجعله في موقع حصين.

وهذا الشعور بالخوف من الله على الدوام لا يتحقّق إلّا بعد تركية الإنسان لنفسه والاهتمام بذكر الله دائماً، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾¹.

3- تربية النفس على الإيمان: إنّ العمل على تربية النفس، يستلزم أن يشعر الإنسان بخطورة ما قام به، وما ارتكبه من ذنوب.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾².

إنّ من أعظم المخاطر التي يقع فيها الإنسان وتُحلّ عليه الغضب الإلهي وتؤدي به إلى جهنّم، هو أن يرتكب المعاصي من دون أن يشعر بخطور ما فعله أو يتجاهل ويتناسى ما وقع فيه، تاركاً لحبائل الشيطان ودسائسه التكفّل بمنعه من العودة إلى الله.

¹ سورة الشمس، الآيات 7-10.

² سورة الأعراف، الآية 201.

في سبيل تركية النفس

إذا كنّا نؤمن بضرورة السعي لرضا الله عزّ وجلّ، ونسعى لذلك فعلاً، علينا أن نتّبع بعض الخطوات العمليّة التي تفتح الباب لنا أمام ذلك، منها:

1- السعي لمعرفة الفضائل والردائل: كما يسعى الإنسان لمعرفة ما يحيط به وما يحتاج إليه في ترتيب أموره الدنيويّة وأمر معاشه في هذه الحياة، فإنّ عليه أن يسعى لمعرفة ما يحتاج إليه في ترتيب أمور آخرته وأمور معاده. إن لم نقل إنّ أمور الآخرة قد تفوق بأهمّيّتها أمور الدنيا.

وطريق ذلك، أن يتعرّف الإنسان على ما أوجبه الله عليه في تنظيم علاقته برّبّه وعلاقته بالآخرين، من والديه، وأصدقائه ومجتمعه.

فضلاً عن تعرّفه إلى المحرّمات التي نهى الله عنها، فيما يرتبط بعلاقته برّبّه أو بالآخرين.

2- تعويد النفس على محاسن الأخلاق: إنّ التعرّف إلى محاسن الأخلاق ومساوئها، لا يكفي بنفسه لكي يتحلّى الإنسان فعلاً بهذه المحاسن، ويتجنّب هذه المساوئ، بل إنّ عليه العمل على تعويد هذه النفس وترويضها شيئاً فشيئاً على ذلك، فإذا ما اعتاد على فعل الطاعات واجتناب المحرّمات، فإنّ ذلك سوف يسهّل له الطريق أمام تركية النفس.

وقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: "إِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرَوُّضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ أُمَّةً يَوْمَ الخَوْفِ الأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَيَّ جَوَانِبِ المَرْئِي" ¹.

3- التروّي والتفكير: على الإنسان أن يتروّى ويفكّر في كلّ أمر قبل أن يُقدم عليه. فقد يقدم على عملٍ قبيح نتيجة عدم التفكير والتروّي والعجلة، فيقع في المعصية، وقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: "التأني في الفعل يُؤمّن الخطل، التروّي في القول يُؤمّن الرّلل" ².

¹ السيّد الرضي، نهج البلاغة، ج3، ص71.

² محمّد الريشهري، ميزان الحكمة، ج3، ص1834.

4- مصاحبة الأخيار ومجانبة الأشرار: إنّ من العقبات الأساسية التي تقف عائقاً أمام النفس وتركيتها هي رفقة السوء، كما أنّ من أعظم الأسباب المساعدة على التربية والترقية هي صحبة الأخيار. ولذا ورد في الروايات، النهي عن صحبة الأشرار. فعن الإمام عليّ عليه السلام: "إِحْدَرُ مُجَالَسَةَ قَرِينِ السُّوءِ، فَإِنَّهُ يُهْلِكُ مُقَارِنَهُ، وَيُرْدِي مُصَاحِبَهُ"¹.

كما ورد عنه عليه السلام الحثّ على مصاحبة العلماء قال: "عَجِبْتُ لِمَنْ يَرْعَبُ فِي التَّكْثُرِ مِنَ الْأَصْحَابِ كَيْفَ لَا يَصْحَبُ الْعُلَمَاءَ الْأَلْبَاءَ الْأَتْقِيَاءَ الَّذِينَ يَغْنَمُ فِضَائِلَهُمْ، وَتَهْدِيهِ غُلُومُهُمْ، وَتُرِينُهُ صُحْبَتُهُمْ؟!"².

5- الابتعاد عن موجبات المعاصي: يقع الإنسان في المعصية بعد إغراء الشيطان للنفس الأمارة، وهذا ما يوجب على الإنسان الذي يعمل على تربية نفسه وتركيتها أن يسعى إلى كبح جماح ميوله ورغباته في هذه النفس، لأنّه إذا فتح المجال أمامها، ولو بشكل محدودٍ طلبت المزيد ورغبت في الازدياد، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال: "مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ مَاءِ الْبَحْرِ كُلَّمَا شَرِبَ مِنْهُ الْعَطْشَانُ أَزْدَادَ عَطْشًا حَتَّى يَقْتُلَهُ"³. فعلى الإنسان أن يتبعد عن المواطن التي توجب القرب من المعاصي.

6- اليقظة التامة: إنّ ساعة الغفلة هي الساعة التي تجعل الإنسان يقع في المعصية، فالنفس الأمارة بالسوء تستغل تلك الساعة التي يغفل فيها الإنسان عن الله. عزّ وجلّ. فتسوّل له ارتكاب المعصية، ففي الرواية عن الإمام عليّ عليه السلام: "وَيْلٌ لِمَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْعَقْلَةُ، فَنَسِيَ الرَّحْلَةَ وَلَمْ يَسْتَعِدَّ"⁴.

¹ ميزان الحكمة، ج2، ص1583.

² م، ن، ج2، ص1584.

³ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص136.

⁴ محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ج3، ص2282.

ولذا على الإنسان أن يستعدَّ تماماً للآخرة، ولا ينسى أن مصيره الموت والانتقال من هذه الدنيا إلى الآخرة، ففي الرواية: "كم من غافلٍ ينسجُ ثوباً ليلبسه وإنما هو كفته، ويبنى بيتاً ليسكنه وإنما هو موضع قبره"¹.

7- اللجوء إلى الله: على الإنسان أن يطلب من الله عزَّ وجلَّ أن يعينه على تربية نفسه، فيلجأ إلى الدعاء والتضرُّع بأن يمكنه من التغلُّب على النفس الأمارة، وعلى ما اعتاد ممارسته من المساوئ، ففي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام . في المناجاة: "إلهي إليك أشكو نفساً بالسوءِ أمارَةً، وإلى الخطيئة مبادرَةً، وبمعاصيك مولعَةً،... كثيرة العَلَلِ، طويلاً الأملِ، إن مَسَّهَا الشَّرُّ تَجَزَّعَ، وإن مَسَّهَا الخَيْرُ تمنعُ، مَيْالَةً إلى اللَّعِبِ واللَّهْوِ، مملوءَةً بالغفلةِ والسَّهْوِ، تُسْرِعُ بي إلى الحَوْتِ، وتُسَوِّفُني بالتَّوْبَةِ"².

ثمار تزكية النفس

إنَّ لتربية النفس وتزكيته آثاراً تنعكس على حياة الإنسان في الدنيا وفي الآخرة، ومن هذه الآثار:

1- النجاة والفلاح في الآخرة: ورد في الآية المباركة ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾³، ولا شكَّ في أنَّ الفلاح في الآخرة يفوق بكثير أيِّ نجاح قد يصل إليه الإنسان في هذه الدنيا.

2- اكتساب محبة الناس: وهي من ثمار حسن الخلق الذي ينتج عن تزكية النفس، لأنَّ الناس ترغب في لقاء من يتعامل معها بخلق حسن، وفي الرواية عن الإمام عليٍّ عليه السلام: "ثلاثٌ يوجبُنَّ المحبَّةَ: حُسْنُ الخُلُقِ، وحُسْنُ الرِّفْقِ، والتَّواضُعِ"⁴.

¹ الصدوق، الأمالي، ص172.

² الصحيفة السجادية، الدعاء 9.

³ سورة الشمس، الآية 9.

⁴ محمد الرشدي، ميزان الحكمة، ج1، ص496.

3- رضا الله والقرب منه: وهو أعظم ما يناله من يسعى لتزكية نفسه، وهذا لا يحصل إلا بعد مجاهدة النفس، فكلمًا ارتقى الإنسان في مجاهدة نفسه وتزكيتها كلما ارتقى درجة في القرب من الله حتى يصل إلى أعلى مراتب القرب وهي جنة الرضوان، كما في قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾¹.

ميزان السلوك

لا بد لمن يسعى لتهديب نفسه وتربيتها من أن يحذر عند العمل من خطر الانحراف عن الطريق القويم في تربية النفس، وذلك من خلال اتباع خطوتين:

1- الرجوع إلى المصادر الأساس لتهديب النفس، والتي تتمثل بالقرآن الكريم فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في صفة القرآن: "جعل الله ريباً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء"². ثم سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما روي من سيرته ومسيرته، ثم الرجوع إلى أهل بيت العصمة والطهارة، فإنهم المعين الصافي والمورد العذب الذي يوصل إلى التربية الصحيحة.

2- الحذر من ارتكاب ما يخالف الشريعة، فإن الكثير من الناس يتبع أساليب غير شرعية ظناً منه أن ذلك سيوصله إلى تربية نفسه وتهديبها، ولذا على من يسعى لتربية نفسه أن يتأمل في كل عمل يقوم به فلا يرهق جسده أو يعذب نفسه باعتقاد أنه بذلك يتمكن من الوصول إلى تربيتها، ولا يسعى للسقوط من أعين الناس متوهماً أنه بذلك يقهر نفسه أو يحطم الغرور فيها فإن الله لا يرضى لعبده المؤمن أن يكون ذليلاً مهيناً.

¹ سورة المجادلة، الآية 22.

² السيد الرضي، نخب البلاغة، ج2، ص178.

تمارين

1. أحدّد الهدف من بعثة الأنبياء عليهم السلام.

2. أدوّن الآيات القرآنيّة الكريمة التي تؤشّر إلى مراتب النفس الثلاث:

- النفس الأتّارة بالسوء: -----

- النفس اللوّامة: -----

- النفس المطمئنّة: -----

3. تحقيقاً لغاية خلق الإنسان أبيّن:

- أهميّة اعتماد خطوات لمواجهة الرغبات والميول:

- السبب الرئيس في الابتعاد عن الكثير من الآداب الأخلاقيّة:

- العامل الرئيس الذي يساعد الإنسان في تربية النفس على الإيمان.

4. في سبيل تزكية النفس يجب:

- التعرّف إلى: -----

- عدم الاكتفاء بالمعرفة بل: -----

- اللجوء إلى: -----

الدرس الثاني: مراقبة النفس

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يبيّن أهميّة مراقبة النفس والهدف منها.
- 2- يفهم كيفية تحقّق الرقابة الإلهية.
- 3- يشرح المضارّ الناجمة من إغفال المراقبة (المحاسبة).

رضى الله

إنَّ غاية ما يطلبه الإنسان في هذه الدّنيا هو رضى الله . عزّ وجلّ . عنه، فهو خالقه وبيده أمره كلّه، وفي رضاه الفوز والنّجاة، وفي غضبه الخسران.

ورضى الله . عزّ وجلّ . لا يتحقّق إلّا بإطاعته في فعل كلّ ما أمر به وترك كلّ ما نهى عنه.

وقد تدعو النفس الإنسان إلى مخالفة أوامر الله . عزّ وجلّ . فيقع عندها بين أمرين، طاعة الله أو طاعة الهوى، وهنا يكون الاختبار والامتحان لهذا الإنسان.

ولذا ورد في وصيّة لقمان عليه السلام . لابنه: "يا بُنَيَّ من يُرِدْ رِضوانَ اللهِ يُسَخِطْ نَفْسَهُ كَثِيراً، ومن لا يُسَخِطْ نَفْسَهُ لا يُرْضِي رَبَّهُ"¹.

تحقق الرقابة الإلهية

إنّ الوسيلة التي يمكن من خلالها المحافظة على أيّ قانون من القوانين البشريّة، هي الرقابة التي تضعها الدولة أو الجهات المسؤولة على الناس لتراقب من يخالف القانون، فينال عقابه.

وقد يتمكّن الإنسان من الإفلات من رقابة الدولة أو الجهات المسؤولة، ولكن هل سأل الإنسان نفسه عندما يعصي الله، هل يتمكّن من الإفلات من الرقابة الإلهية؟

لا شكّ في أنّ الجواب عن ذلك هو بالتّقي.

¹ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج13، ص432.

قال الله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ فَنَقُصَّنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾¹.

إذًا، لا يمكن على الإطلاق الإفلات من الرقابة الإلهية.

ننقل قصة مفيدة حيث كان هناك عالم يفضل أحد تلامذته على الآخرين فلامه التلامذة على ذلك، فأراد أن يبين لهم السبب، فأعطى كل واحد منهم طيراً. وقال: "اذبحه في مكان لا يراك فيه أحد".

فجاؤوا كلهم بطيورهم وقد ذبحوها، فجاء الشاب بطيره وهو غير مذبوح، فقال له: "لم لم تذبحه؟"، فقال: "لَقَوْلِكَ لا تذبحه إلا في موضع لا يراك فيه أحد، ولا يكون مكان إلا يراني الواحد الأحد الفرد الصمد"، فقال له: "أحسن"، ثم قال لهم: "لهذا رفعته عليكم وميزته عنكم".

كيف نقوي شعورنا بالرقابة الإلهية؟

لكي نتمكن من مراقبة أنفسنا، والوصول في النهاية إلى مرحلة الحضور بين يدي الله، وعدم الغفلة عن مراقبته لنا ولأعمالنا، لا بد أن نقوم بتدريب أنفسنا وترويضها، وذلك من خلال إيجاد برنامج مراقبة في كل يوم، من الصباح حتى المساء وأثناء الليل، حيث يحاسب الإنسان نفسه على كل ما فعله في النهار. فإذا وجد نفسه أنه التزم بفعل الواجبات وترك المحرمات، فليحمد الله تعالى، ويطلب منه التوفيق للاستمرار، وإن غلبته نفسه الأمامة بالسوء، فليعاتبها عتاباً شديداً، ويستغفر الله تعالى، وليعقد العزم على المتابعة، ولا ييأس من رحمة الله، فالله سبحانه لا شك سيوفقه لما فيه رضاه. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾².

¹ سورة لقمان، الآية 16.

² سورة الحشر، الآية 18.

شهود الله على الإنسان

عندما يُتقدّم أيّ إنسان متهمّ بارتكاب جريمة ما، ليحاكم فإنّ أول ما يطلبه القاضي إحضار الشهود للإدلاء بشهاداتهم على ارتكابه تلك الجريمة. فإذا لم يتوافر الشهود، لا تتوفّر الأدلة لإدانة المتهم، وعليه فإنّه يفلت من العقاب.

ولكنّ القضية في مسألة الرقابة الإلهية على الإنسان مختلفة، حيث لا يتمكّن الإنسان أن يفلت من العقاب الأخروي، محتجاً بعدم وجود الشهود. لأنّ الله . عزّ وجلّ . هو الشاهد والرقيب على ما يقوم به الإنسان، وقد جعل سبحانه أمر مراقبته إلى شهود متعدّدين يحصون عليه كلّ فعل يقوم به من خير أو شرّ.

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾¹

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾².

ويرتقي الأمر في مراقبة الإنسان إلى مستوى لا تسجّل فيه أعماله وحدها، بل يصل إلى حدّ الإطلاع على النوايا والخفايا، قال الله تعالى: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾³.

العقاب الإلهي

هل يمكن للإنسان الذي ارتكب المعاصي أن يفلت من العقاب الإلهي؟ وهل يوجد مكان يتمكّن فيه هذا الإنسان أن يكون بمنأى من عذاب الله؟

لا شكّ في أنّ الجواب هو عدم قدرة الإنسان على الفرار من العقاب الإلهي، وهذا ما أكّدته العديد من الآيات: يقول تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاءَ رَبُّكَ

¹ سورة ق، الآية 18.

² سورة الزلزلة، الآيات 7-8.

³ سورة ق، الآية 16.

وَالْمَلِكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ¹.

هذا العقاب الإلهي جاء نتيجة لارتكابه المعاصي، وقيامه بالمنكرات، ولا ينجو من هذا العذاب إلا أصحاب النفوس المطمئنة الذين وعدهم سبحانه بالجنة. وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي² .

باب التوبة

بمهل الله عز وجل الإنسان في هذه الدنيا، ولكن لا يهمله، فهو يعطيه فرصة بعد أخرى ويفتح له أبواب الرجوع إليه، ويدعوه إلى أن لا يقنط من رحمته ولا ييأس من عفوه، حيث أودع الله سبحانه في الإنسان القدرة على ترك الذنوب مهما كانت كبيرة ومتجددة في نفسه. ووعده بالعمو عنها إن تاب وندم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ³ .

ولكن، ما ينبغي الحذر منه هو التسويف في التوبة، أو التسويف في فعل الطاعات، فكثير من الناس يرى أنه ما زال في مقتبل العمر، وأن بإمكانه أن يتوب غداً أو بعد غد، كما أن بإمكانه أن يصلح عندما يتقدم في السن ما فعله أيام شبابه، ولكن هل يعرف الإنسان مدى العمر الذي سيعيشه؟، وهل يضمن البقاء حياً إلى الغد حتى يقوم بالتسوية؟ وهل يضمن التوفيق للتوبة أيضاً؟

ولذلك نجد أن أمير المؤمنين عليه السلام يوصي أحد أصحابه: "فَتَدَارِكْ مَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِكَ وَلَا تَقُلْ غَدًا وَبَعْدَ غَدٍ، فَإِنَّمَا هَلْكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ بِإِقَامَتِهِمْ عَلَى الْأَمَانِي وَالتَّسْوِيفِ حَتَّىٰ أَتَاهُمْ أَمْرُ اللَّهِ بَغْتَةً وَهُمْ غَافِلُونَ"⁴.

¹ سورة الفجر، الآيات 21-26.

² سورة الفجر، الآيات 27-30.

³ سورة الزمر، الآية 53.

⁴ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص136.

تمارين

1. أبيّن غاية الإنسان في هذه الحياة الدنيا:

----- لماذا:

----- كيف:

2. أذكر الاختبار والامتحان الذي يقع فيه الإنسان:

3. أظهر دور الرقابة وضرورتها في استقامة الأمور:

4. أقوى الشعور بالرقابة الإلهية من خلال:

5. أبحث في القرآن الكريم وأختار آيات مباركة تؤكّد على:

----- رقابة الله للإنسان:

----- شهادة الجوارح على الأعمال:

----- وقت التوبة المقبولة عند الله تعالى:

الدرس الثالث: الأمراض الأخلاقية (1)

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يتعرّف إلى معنى العجب والرياء.
- 2- يعرف مظاهر العجب والرياء وآثارهما.
- 3- يستذكر طرائق العلاج من العجب والرياء.

العُجْب

كما يُبتلى الجسم بالأمراض، ويسعى الإنسان لعلاج ذلك بمراجعة الطبيب أو البحث عن الدواء المفيد والنافع، كذلك تُبتلى النفس الإنسانيّة ببعض الأمراض، وعلى الإنسان أن يسعى لمعالجتها. ولكنّ هذه الأمراض الأخلاقيّة التي تصاب بها النفس لا يلتفت إليها الناس جميعاً، لأنّ آثارها لا تظهر بوضوح على الإنسان، كما أنّ علاجها ليس أمراً سهلاً.

إنّ الذنوب والأمراض الأخلاقيّة هي كالسموم المهلكة التي تصيب البدن، وكما أنّ السموم التي تصيب الجسم قد تؤدّي به إلى الموت، فكذلك الأمراض الأخلاقيّة قد تؤدّي بالنفس إلى الهلاك الأبديّ.

وكما يسعى الإنسان للوقاية من الأمراض التي تصيب جسده، عليه أن يسعى للوقاية من الأمراض التي تصيب النفس، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "عَجِبْتُ لِمَنْ يَحْتَمِي مِنَ الطَّعَامِ مَخَافَةَ الدَّاءِ، كَيْفَ لَا يَحْتَمِي مِنَ الذَّنُوبِ مَخَافَةَ النَّارِ"¹.

الأمراض الأخلاقيّة التي يصاب بها الإنسان كثيرة ومتعدّدة، منها: العجب - التكبر - الرياء...، وقد تؤدّي جميعها أو واحدة منها إلى وجود خلل في العبوديّة الحقّة لله سبحانه وتعالى.

¹ الصدوق، الأمالي، ص 247.

تعريفه العُجب

العُجب هو أن يستعظم الإنسان نفسه، بسبب اتّصافه بصفةٍ حسنةٍ، أو ميزةٍ لم تتوفّر لدى سائر الناس كالإيمان، العلم، المال والجاه. ويجد نفسه من خلال ذلك أنّه غير مقصّر. ومعنى ذلك أن يقوم بينه وبين نفسه بتزكية نفسه ويرضى عنها، وإن لم يرتّب على ذلك أيّ أثر في الخارج.

قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾¹.

والعُجب هو حبل من حبال إبليس يُحكّم إبليس من خلاله قبضته على الإنسان فيقوده إلى إحباط العمل، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: "قال إبليس لعنه الله ليجنوده: إذا استمكنتُ من ابن آدم في ثلاثٍ لم أبال ما عمِل، فإنّه غير مقبولٍ منه، إذا استكثر عمله، ونسيّ ذنبه، ودخله العُجب"².

آثار العُجب

إنّ لكلّ مرضٍ خلقيّ بعض الآثار التي تظهر على الإنسان، والعُجب كذلك، ومن آثاره:

- 1- إته سبب لأمرض خلقيةٍ أخرى كالأنانية والتكبر، لأنّه حيث يرى نفسه أفضل من الناس، فإنّ ذلك هو الخطوة الأولى له ليُقدم بعد ذلك على التكبر عليهم.
- 2- الغفلة عن العيوب، فإنّ المبتلى بالعُجب، سوف يصعب عليه إدراك الذنوب التي يرتكبها هو وإذا أدركها استخفّ بها.
- 3- استنثار الطاعة، فإنّ المبتلى بالعُجب، يظنّ أنّه قد أدّى من العبادة ما يكفيه وهو لا يعلم ما الذي يكفيه، بل إنّ مرض العُجب هذا، سوف يُبطل الفوائد المترتبة على العبادة ويُجبط الثواب عليها.

¹ سورة النجم، الآية 32.

² الجواهرى، جواهر الكلام، ج2، ص101.

وقد جاء في الحديث أنّ الله تعالى قال لداوود: "يا داوود بشر المذنبين وأنذر الصديقين، قال: يا ربّ كيف أبشّر المذنبين وأنذر الصديقين؟ قال: يا داوود، بشر المذنبين أنّي أقبل التوبة وأعفو عن الذنب، وأنذر الصديقين ألاّ يعجبوا بأعمالهم، فإنّه ليس عبد أنصبه للحساب إلاّ هلك"¹.

4- ومن آثاره، الهلاك، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: "من دخله العجب هلك"².

علاج العُجب

1- التذكُّر: أن يتذكَّر أنّ كلّ ما يعيشه من نِعَم، وكلّ ما يتحلّى به من خصال هو من عند الله، وأنّ أموره كلّها بيد الله. وأنّه مهما فعل من الطاعات والعبادات، لن يتمكّن من أداء الشكر لله. عزّ وجلّ. لأنّ الله من النعم على العباد ما لو عبده، أبَدَ الدهر، لم يوفوا حقّ نعمة واحدة منها.

يروى أنّ بعض الصلحاء، خرج في جَنَحِ الظلام إلى أحد المشاهد المشرّفة لعبادة الله، وقد أصيب بالعُجب لخروجه في السّحر، وبينما هو يمضي إلى المشهد لاح له بائع يبيع بعض الطعام في ذلك الوقت، فاقترب منه، وسأله: "كم تجني بخروجك للبيع في هذا الوقت؟"، فأجابه: "درهمين أو ثلاثة"، فقال ذلك الصالح في نفسه: "علام العُجب، وقيامي في هذا السّحر لا يزيد عن درهمين أو ثلاثة".

2- الحذر من سوء العاقبة وفساد العمل: ما الذي يضمن للإنسان أن لا يبطل عمله هذا! أو أن يفقد تلك الصفة والخصلة التي هو معجب فيها؟!.

¹ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص 313.

² م. ن.

الرياء

قد يأتي الإنسان بأعمال الخير من العبادات أو الإحسان إلى الناس، أو يتحلّى ببعض الصفات الحسنة، ولكنّه يُظهر ذلك أمام الناس طلباً للمكانة والشهرة لديهم.

إنّ البلاء الذي يقع فيه المرآئي، هو أنّه يأتي بالعمل مظهراً أنّه لله، وهو ينتظر الثواب من الله، ولكنّه في باطنه يأتي بالعمل للناس لا لله، فلا يستحقّ جزاءً ولا ثواباً من الله عزّ وجلّ. ولذا، ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إِنَّ الْمَلَكَ لِيَصْعَدُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مُبْتَهَجاً بِهِ فَإِذَا صَعَدَ بِحَسَنَاتِهِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اجْعَلُوهَا فِي سَجِينٍ إِنَّهُ لَيْسَ بِإِيَّايَ أَرَادَ بِهَا"¹.

قد تؤدّي خدمة لأحد من الناس وتمكّن من إخفاء هدفك الحقيقيّ من خدمته، ولا يعرف منك إلا أنّك قد قصدت الإحسان له، ولكنك لا تستطيع أن تخفي على الله . عزّ وجلّ . قصدك الحقيقيّ من أيّ عمل تقوم به، لأنّ الله عزّ وجلّ: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾².

علامات المرآئي

ورد في الرواية عن الإمام عليّ عليه السلام تحديد علامات المرآئي قال: للمرآئي أربع علامات:

- 1- يكسل إذا كان وحده.
- 2- وينشط إذا كان في الناس.
- 3- ويزيد في العمل إذا أني عليه.
- 4- وُنقص منه إذا لم يُشّن عليه³.

¹ الشيخ النحفي الجواهري، جواهر الكلام، ج2، ص98.

² سورة غافر، الآية 19.

³ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج2، ص180.

علاج الرياء

إنّ للرياء طرقاً للعلاج، كما هو الحال في أيّ مرض أخلاقيّ، وطرق علاجه:

1- المعرفة الحقيقية بالله عزّ وجلّ: إذا عرف الإنسان الله حقّ معرفته، عرف أنّ الأمور كلّها بيد الله، وأنّ ما يقوم به من فعل ويريد ثوابه من غير الله، فإنّه إنّما يفتش عن السراب، ويترك المسبّب الحقيقيّ الذي بيده الأمور كلّها. ونحن نُقرّ في كلّ يوم، ونقرأ أكثر من مرّة، قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ولكننا عندما نأتي بالعمل رياءً، فإننا نخالف ما نُقرّ به في سورة الفاتحة.

2- النظر إلى الثواب والجزاء الحقيقيّ: فالمرائي الذي يأتي بالعمل رياءً لوجه الناس، و ينتظر الثواب منهم، ينسى أنّ الثواب الحقيقيّ، والجزاء هو من الله، وأنّه بعمله هذا يمنع من وصول الثواب الإلهيّ إليه. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: "كلُّ رياءٍ شرك، إنّهُ مَنْ عَمِلَ لِلنَّاسِ كَانَ ثَوَابُهُ عَلَى النَّاسِ، وَمَنْ عَمِلَ لِلَّهِ كَانَ ثَوَابُهُ عَلَى اللَّهِ"¹.

¹ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص 294.

تمارين

1. أبيض مخاطر الأمراض الأخلاقية على الإنسان:

2. أحدد:

معنى العُجب: _____
معنى الرياء: _____

3. أميز بين المرئى والمخلص لله تعالى مستفيداً من علامات المرئى:

4. أظهر بعض مساوئ وخصال المعجب بنفسه من خلال سلوكياته الأخلاقية:

5. أعدد آثار العجب على الإنسان:

6. أقدم علاجاً للرياء ومقترحاً عملياً يسهم في التخلص منه:

الدرس الرابع: الأمراض الأخلاقية (2)

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يتعرف إلى مفهومي التكبر والتواضع.
- 2- يبيّن مظاهر التكبر والتواضع والآثار الناجمة عنهما.
- 3- يحدّد طرائق العلاج من التكبر.

بعد أن استعرضنا في الدرس السابق موضوع العجب، وما ينجم عنه من آثار سلبية وطرائق معالجتها، نحاول في هذا الدرس تناول عنوايي التكبر والرياء كأمرين منافيين لمحمد الأخلاق.

التكبر

التكبر هو أن يُعجب الإنسان بنفسه لصفة فيه أو لعمل قام به، ويتعالى على الآخرين بسبب ذلك.

ففي وصية لقمان الحكيم لابنه، والتي تعرض لها القرآن الكريم نقراً: ﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾¹.

وكما أنّ للخير وللطاعة مفاتيح، فكذلك المعاصي والكفر، فإنّ مفتاحهما التكبر، ويكفي أنّ نتذكر أنّ المعصية الأولى التي وقعت كانت بسبب التكبر. وتمثّلت برفض إبليس أمر الله . عزّ وجلّ . بالسجود لآدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾².

آثار التكبر

من الشواهد على آثار التكبر قصة فرعون، وتمثّلت بارتكاب أعظم الذنوب، ومنها:

1- ادعاء الربوبية: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي

¹ سورة لقمان، الآية 18.

² سورة ص، الآيتان 73 و74.

فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ¹.

2. ظلم الناس واضطهادهم: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾².

عقاب الكبر

1- الحرمان من الجنة: فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "لن يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر"³.

2- العذاب في سقر: عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: "إن في جهنم لوادياً للمتكبرين يقال له سقر شكى إلى الله عز وجل شدة حره، وسأله أن يأذن له أن يتنفس فتنفس فأحرق جهنم"⁴.

التواضع وعلاج التكبر

إن معالجة هذا المرض الأخلاقي تتحقق بمراجعة الإنسان لنفسه لكي يتذكر:

- أنه مخلوق ضعيف وعاجز: لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، فإذا أراد الله أن يصيبه ببلاء أو يسلب منه ما هو فيه من صفات أدت به إلى العجب، فلن يتمكن من منع ذلك.

- أن يتذكر عظمة الله: فتصغر نفسه أمامه سبحانه، ورد عن الإمام علي عليه السلام: "لا ينبغي لمن عرف الله أن يتعاطم"⁵.

¹ سورة القصص، الآية 38.

² سورة القصص، الآية 4.

³ ميزان الحكمة، ج3، ص 2653.

⁴ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص 309.

⁵ الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص 539.

1- العلاج العملي من التكبر:

لقد حثَّ الإسلام على التواضع في العديد من الآيات القرآنية وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليهم السلام، يقول تعالى واصفاً المؤمنين: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾¹.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا حسب إلا التواضع..."².

وعن الإمام علي عليه السلام في وصف المتقين: "فالمتمقون هم أهل الفضائل، منطقتهم الصواب ومليستهم الاقتصاد ومشيتهم التواضع..."³.

2- ماذا نعني بالتواضع؟

التواضع هو عبارة عن احترام الناس حسب أقدارهم، وعدم الترفع عليهم، وهو خلق كريم، وخلعة جدّابة، تستهوي القلوب، وتستثير الإعجاب والتقدير ناهيك في فضله أن الله تعالى أمر حبيبه وسيّد رسله صلى الله عليه وآله وسلم بالتواضع، فقال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁴.

وقد أشاد أهل البيت عليهم السلام بشرف هذا الخلق، وشوّقوا إليه بأقوالهم الحكيمة، وسيرتهم المثالية، وكانوا رواد الفضائل، ومنار الخلق الرفيع.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: "إنّ في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه، ومن تكبر وضعاه"⁵.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: "ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء، طلباً لما عند الله..."⁶.

¹ سورة المائدة، الآية 54.

² الجعفریات، ص 150.

³ السيّد الرضي، نهج البلاغة، الخطبة: 193.

⁴ سورة الشعراء، الآية 215.

⁵ الكافي، ج 2، ص 122.

⁶ ميزان الحكمة، ج 3، ص 2451.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: "من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس، وأن تسلّم على من تلقى، وأن تترك المراء إن كنت محقاً. ولا تحب أن تحمد على التقوى"¹.

3- الاعتدال والوسطية في التواضع:

إنّ التواضع الممدوح، هو المتّسم بالقصد والاعتدال الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، فالإسراف في التواضع داعٍ إلى الخسّة والمهانة، والتفريط فيه باعث على الكبر والأنانية. وعلى العاقل أن يختار النهج الأوسط، المبرأ من الخسّة والأنانية، وذلك: بإعطاء كل فرد ما يستحقّه من الحفاوة والتقدير، حسب منزلته ومؤهلاته.

4- سيرة أهل البيت عليهم السلام في التواضع:

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشدّ الناس تواضعاً، وكان إذا دخل منزلاً قعد في أدنى المجلس حين يدخل، وكان في بيته في مهنة أهله، يلعب شاته، ويرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويخدم نفسه، ويحمل بضاعته من السوق، ويجالس الفقراء، ويواكل المساكين.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا ساره أحد، لا ينحني رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحني رأسه، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر، وما قعد إليه رجل قط فقام وسيّد رسله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يقوم، وكان يبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة، ولم يُر قط ماداً رجله بين أصحابه، يكرم من يدخل عليه، وربما بسط به ثوبه، ويؤثره بالوسادة التي تحته، ويكفي أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكريماً لهم، ولا يقطع على أحد حديثه، وكان يقسم لحظاته بين أصحابه، وكان أكثر الناس تبسّماً، وأطيبهم نفساً².

عن أبي ذر الغفاري: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجلس بين ظهري أصحابه، فيجيء الغريب فلا يدري أيّهم هو حتى يسأل، فطلبنا إليه أن يجعل مجلساً يعرفه الغريب إذا

¹ الكافي، ج2، ص 123.

² سفينة البحار المجلد الأول ص 415 بتصرف وتلخيص.

أتاه، فبينما له دكاناً من طين فكان يجلس عليها، ويجلس بجانبه.

وروي أنه وسيد رسله صلى الله عليه وآله وسلم كان في سفر، فأمر بإصلاح شاة، فقال رجل: "يا رسول الله عليّ ذبحها، وقال آخر: عليّ سلخها، وقال آخر: عليّ طبخها، فقال سيد رسله صلى الله عليه وآله وسلم: وعليّ جمع الحطب. فقالوا: يا رسول الله نحن نكفيك. فقال: قد علمت أنكم تكفوني، ولكن أكره أن أتميّز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه، ثم قام فجمع الحطب"¹.

وهكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام في سموّ أخلاقه وتواضعه، قال ضرار وهو يصفه عليه السلام: "كان فينا كأحدنا، يدنينا إذا أتينا، ويجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعواناه، وينبئنا إذا استبئناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا، وقربه منا، لا نكاد نكلّمه هيبة له، فإن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظّم أهل الدين، ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله"².

ومن تواضع الإمام الحسين عليه السلام: أنه مر بمساكين وهم يأكلون كسراً لهم على كساء، فسلم عليهم، فدعوه إلى طعامهم، فجلس معهم وقال "لولا أنه صدقة لأكلت معكم. ثم قال: قوموا إلى منزلي، فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدراهم"³.

ومن تواضع الإمام الرضا عليه السلام: قال الراوي: كنت مع الرضا عليه السلام في سفرة إلى خراسان، فدعا يوماً بمائدة، فجمع عليها من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة. فقال: "مه، إنّ الرب تبارك وتعالى واحد، والأم واحدة، والأب واحد، والجزاء بالأعمال"⁴.

¹ سفينة البحار، ج1، ص415.

² العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج41، ص15.

³ م. ن، ج44، ص191.

⁴ الكليني، الكافي، ج8، ص230.

تمارين

1. أحدّد:

----- معنى التكبّر:
----- معنى التواضع:

2. أظهر بعض صفات المتكبّر وأخلاقه من خلال سلوكياته الاجتماعيّة:

3. اقدم علاجاً للتخلّص من آفة الكبر (يمكن الاستفادة من كتاب الأربعون حديثاً للإمام الخميني قدس سره):

4. أذكر عقاب الكبر:

5. أبين مظاهر التكبر والتواضع وآثارها:

الدرس الخامس: آفات اللسان (1)

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يحدّد دور الجوارح في استقامة الإيمان عند الإنسان.
- 2- يتعرّف إلى مفهوم الكذب والتنازع بالألقاب ويبيّن أهم الآثار الناجمة عنهما.
- 3- يعدّد العوامل التي تؤدّي إلى وقوع الإنسان بالكذب والتنازع بالألقاب وكيفية المعالجة.

تمهيد

من أعظم الجوارح التي تفتح باب المعاصي لهذا الإنسان اللسان، وقد ربط الإسلام بين استقامة الإيمان عند الإنسان واستقامة سائر جوارحه باستقامة لسانه. فقد ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه"¹.

وكذلك ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا أصبح ابن آدم أصبح الأعضاء كلها تستكفي اللسان، أي تقول: اتق الله فينا فإنك إن استقممت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا"².

إنّ الذنوب التي يقع فيها الإنسان بسبب لسانه كثيرة جداً، وقد يؤاخذ الإنسان على ذنبٍ ويظنُّ أنه لم يرتكبه، ولكنه يغفل عن أنّ كلمة خرجت منه أدت به إلى هذا الذنب، ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يعذب الله اللسان بعذابٍ لا يعذب به شيئاً من الجوارح، فيقول: أي ربّ عذبتني بعذابٍ لم تُعذب به شيئاً؟! فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها، فسفك بها الدّم الحرام، وانتهب بها المال الحرام، وانتَهك بها الفرج الحرام"³.

وتعرّض في هذا الدرس، لبعض الذنوب التي قد يقع بها الإنسان بسبب لسانه:

¹ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 68، ص 287.

² الشيخ ريشهري، ميزان الحكمة، ج 4، ص 2778.

³ الشيخ الكليني، الكافي، ج 2، ص 115.

الكذب

الكذب هو كل قول يخالف الواقع، ولا ينطبق عليه، يصدر من الإنسان وهو عالم بعدم صحته، وهو من كبائر الذنوب، بل هو مصدر الشرور والآثام، وأكثر ما يقع الإنسان في الذنوب نتيجة الكذب.

وهو مفتاح باب جهنم لهذا الإنسان، ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وقد سأله رجل عن عمل الجنة؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: "الصدق، إذا صدق العبد برّ، وإذا برّ آمن، وإذا آمن دخل الجنة"، قال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما عمل النار؟ قال: "الكذب، إذا كذب العبد فجر، وإذا فجر كفر، وإذا كفر يعني دخل النار"¹.

آثار الكذب

مضافاً إلى العقاب الأخروي الذي توعد الله عزّ وجلّ به الكذب، فإنّ للكذب آثاراً دنيوية، منها:

- 1- فقدان الثقة وسوء سمعة هذا الإنسان، فإنّ من يقع في الكذب لن يصدّقه الناس، ولن تُقبَل له قولاً.
- 2- قد يرتكب بعض الذنوب لكي يستر ما وقع فيه من الكذب، وهكذا يجزّه الكذب إلى المعصية تلو الأخرى.

ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . لما قال له رجل: "أستسِرُّ بِخِلالِ أربَع: الزّنا، وشربُ الخمر، والسرقَةُ، والكذب، فأَيُّهُنَّ شِئتَ تَرَكْتُها لَكَ: "دَعِ الكُذِبَ". فَلَمّا ولىَّ هَمَّ بالزّنا، فقال: يَسأَلُنِي، فَإِنْ جَحدْتُ نَقَضْتُ ما جَعَلْتُ لَهُ، وَإِنْ أَقَرَرْتُ حُدِدْتُ، ثُمَّ هَمَّ بالسرقَةِ، ثُمَّ بشربِ الخمر، فَفَكَرَ في مثل ذلك، فرجع إليه فقال: قَدْ أَخَدْتُ عَلَيَّ السَّبِيلَ كُلَّهُ، فَقد تَرَكْتُهُنَّ أَجمَع"².

¹ الميرزا النوري، مستدرک الوسائل، ج9، ص 89.

² الشيخ ريشهري، ميزان الحكمة، ج3، ص 2674.

3- مهانة الآخر، فمن الآثار السلبية التي يؤدي إليها الكذب حتى لو كان عن مزاح، هو أن يُوجب مهانة إنسان آخر، فإنّ ذلك يُضيف إلى الكذب ذنباً عظيماً آخر عند الله، جاء في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: "مَنْ رَوَى عَلَى مُؤْمِنٍ رِوَايَةً، يَرِيدُ بِهِ شَيْنَهُ (تعييره بعب) وَهَدَمَ مُرُوتَهُ، لَيْسَقُطَ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، أَخْرَجَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ وِلَايَتِهِ إِلَى وِلَايَةِ الشَّيْطَانِ فَلَا يَقْبَلُهُ الشَّيْطَانُ"¹.

أسباب الوقوع في الكذب

إنّ الانحراف الخُلقيّ له أسبابه، ومن هذه الأسباب:

1- العادة: إنّ الكذب يستتبع الكذب، حتى يصبح عادة لدى الإنسان.

2- ضعف الشخصية: فإنّ الإنسان إمّا يلجأ إلى الكذب نتيجة ضعف شخصيته، ولو أنّه يمتلك القوّة والصلابة، لما أقدم على فعل الكذب، لأنّه لن يخشى من عاقبة الصدق، وقد ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لَا يَكْذِبُ الْكَاذِبُ إِلَّا مِنْ مَهَانَةٍ نَفْسِهِ عَلَيْهِ"².

3- العداوة والحسد: إنّ حسد الإنسان لغيره عندما يشاهد النعمة عليه، يوجب عداوة في نفسه له. وحيث يعجز عن سلب هذه النعمة عنه، فإنّه يلجأ إلى الكذب وسيلة، لكي يتوصّل من خلالها لسلبه النعمة، فيفتري عليه بما ليس فيه.

4- المزاح: يستحلي الكثير من الناس المزاح، وعندما لا يجد طريقاً لذلك إلّا الكذب يلجأ إليه وسيلة لكي يُضحك الناس من حوله، وهو لا يعلم أنّ ثمن هذا الضحك سوف يكون البعد عن الله، وفقدان الثقة لدى الناس، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: "فلعنة الله على الكاذب وإن كان مازحاً"³.

¹ الحزّ العاملي، وسائل الشيعة، ج12، ص 294.

² العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج69، ص 262.

³ الميرزا النوري، مستدرک الوسائل، ج11، ص 372.

التنازير بالألقاب

من الأمراض اللسانية التي يكثر في الناس الابتلاء بها، إطلاقهم ألقاباً قبيحة على بعضهم البعض، فلا يعرفون بعضهم إلا من خلال تلك الألقاب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾¹..

وهذه الألقاب هي التي تتضمن الذم والتحقير، وأما الألقاب التي تتضمن الاحترام والتقدير فإنها أمر حسن.

إفشاء السر

إنّ كتمان السرّ من الأخلاق التي لا ينبغي للمؤمن أن يغفل عنها. وإنّ كلّ سرّ يؤدي إفشاؤه إلى مفسدة سواء على المستوى الفردي، أو الاجتماعي يجب كتمانها. ولا شك أنّ كتمان السر سوف يكون عاملاً مهماً يساعد على نجاح المؤمنين في أعمالهم الاجتماعية والجهادية وغيرها.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: "المجالس بالأمانة، وليس لأحدٍ أن يُحدّث بحديث يكتمه صاحبه إلا بإذنه، إلا أن يكون ثقة، أو ذاكراً له بخير"².

وعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: "يُحشر العبد يوم القيامة وما ندى دماً، فيدفع إليه شبه المحجمة، أو فوق ذلك، فيقال له: هذا سهمك من دم فلان، فيقول يا رب: إنك لتعلم أنّك قبضتني وما سفكت دماً، فيقول: بلى، سمعت من فلان كذا وكذا، فرويتها عليه، فنُقِلت حتى صالت إلى فلان الجبار فقتله عليها، وهذا سهمك من دمه"³.

¹ سورة الحجرات، الآية 11.

² الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص660.

³ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص370.

وجوب حفظ السر

إنّ جميع الناس في حياتهم لديهم بعض الأسرار المتعلقة بخصوصياتهم أو بنقاط ضعفهم وعيوبهم، ومن المعلوم أنّ إفشاء ما يتعلّق بالخصوصيات أو بنقاط الضعف والعيوب يؤدي إلى سقوط اعتبار وحيثية هؤلاء في نظر الناس، وقد يفضي إلى سلب الثقة منهم وسقوطهم الاجتماعي وإراقة ماء وجههم، ولذا ورد في الحديث الشريف عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: "إِنْ كَانَ فِي يَدِكَ هَذِهِ شَيْءٌ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَعْلَمَ هَذِهِ فَافْعَلْ؛ قَالَ: وَكَانَ عِنْدَهُ إِنْسَانٌ فَتَذَاكَرُوا الإِذَاعَةَ، فَقَالَ: أَحْفَظْ لِسَانَكَ تُعِزَّ، وَلَا تُمَكِّنِ النَّاسَ مِنْ فَيَادِ رَقَبَتِكَ فَتَدُلَّ"¹.

والملفت للنظر أنّ الإمام عليه السلام قال في بداية هذا الحديث: "إِنْ كَانَ فِي يَدِكَ هَذِهِ شَيْءٌ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تَعْلَمَ هَذِهِ فَافْعَلْ". ومن هنا يتّضح أنّه إذا علم الإنسان بخبر مكتوم للآخر وانكشف له سر من أسراره فإنّ ذلك يعدّ أمانة لديه، فلو أذاعه فإنّه قد خان الأمانة وتسبّب في أن يقع الطرف الآخر في دوامة من المشكلات والأضرار الكبيرة .

وعليه فلا بدّ للإنسان أن يحفظ أسراره ولا يذيعها إلى الآخرين، فيجب أن يجعل صدره صندوق أسراره، فلو اضطر في مورد معيّن أو اتفق له أن اطّلع على سرّ من أسرار أخيه المؤمن فإنّه يجب عليه أن يسعى لحفظه ولا يرتكب الخيانة في حق أخيه المؤمن.

ونجد في الروايات الإسلامية تعبيرات مختلفة وكثيرة فيما يتعلّق بحفظ السر وضرورة الالتزام بعدم إفشائه وإذاعته ما يدلّ على اهتمام الإسلام بهذا الموضوع حتى أنّه قرّر أنّ أسرار الآخرين بمنزلة الأمانة لدى الشخص وإفشائها يعني الخيانة للأمانة:

¹ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص225.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ التفت فِيهِ أمانةً"¹.

هذه الالتفاتة تعني أنه لا يريد أن يسمعه آخر، فحينئذ يكون إفشاء هذا السرّ بمثابة الخيانة بالأمانة.

وفي حديث آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: "مَنْ أَفْشَى سِرًّا اسْتَوْدَعَهُ فَقَدْ خَانَ"².

ونقرأ في حديث آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: "جُمِعَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي كُتْمَانِ السِّرِّ وَمُصَادَقَةِ الْأَخْيَارِ وَجُمِعَ الشَّرُّ فِي الْإِذَاعَةِ وَمُوَاحَاةِ الْأَسْرَارِ"³.

وإنّ وجوب المحافظة على الأسرار العسكرية والأمنية والسياسية من البديهيّات، ولهذا نجد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اهتم بهذا الأمر غاية الاهتمام، وأوصى كذلك أصحابه بالمحافظة على هذه الأسرار أيضاً، والكثير من الانتصارات التي حققها المسلمون على أعدائهم من المشركين واليهود وقوى الانحراف الأخرى كان بسبب الالتزام والانضباط في هذه المسألة الدقيقة، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: "الظَّفَرُ بِالْحَزْمِ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ، وَالرَّأْيِ بِتَحْصِينِ الْأَسْرَارِ"⁴. وعن الإمام الباقر عليه السلام قوله: "إِظْهَارُ الشَّيْءِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَحْكَمَ مَفْسَدَةٌ لَهُ"⁵، وذلك لأنّ المخالفين والأعداء عندما يطلّعون عليه تحركوا في سبيل المنع من تحقيقه ونجاحه.

¹ الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء، ج5، ص237.

² الأمدي، غرر الحكم.

³ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج71، ص178، ح17.

⁴ السيّد الرضي، نخب البلاغة، الكلمات القصار، الكلمة 48.

⁵ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج72، ص71.

تمارين

1. أستفيد من حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأبيّن جزاء اللسان:

2. أعرّف:

الكذب: -----
التنايز بالألقاب: -----

3. أعدّد آثار الكذب على الإنسان وعلى الآخرين:

4. أبين أسباب وقوع الإنسان في الكذب:

5. أحدّد موقف الإسلام من المزاح الكاذب (كظاهرة كذبة نيسان) مستفيداً من الروايات الواردة بهذا الشأن
ومن أخلاق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

6. أذكر أهم الآثار النفسية التي أتلّمسها على الأفراد بسبب التنايز بالألقاب:

الدرس السادس: آفات اللسان (2)

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يتعرّف إلى معنى الغيبة و بذاءة اللسان.
- 2- يحدّد الأسباب التي توقع الإنسان بالغيبة وبذاءة اللسان.
- 3- يستذكر طرائق معالجة الغيبة وبذاءة اللسان.

من آفات اللسان التي دعا الاسلام إلى اجتنابها والابتعاد عنها إضافة إلى ما سبق، الغيبة و بذاءة اللسان.

الغيبة

من الذنوب التي يقع الإنسان فيها بسبب لسانه الغيبة، وهي أن يذكر الإنسان أحاه بعيب هو فيه في غيبته وهو يكره ذلك.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾¹.

فهذه الآية تبين لنا الصورة الحقيقية للغيبة، وهي تتمثل بصورة ميت لا يتمكن أن يدفع عن نفسه شيئاً، فيأتي إنسان آخر ليأكل لحمه. وكذلك الحال في المغتاب، فإنه غائب لا يمكنه أن يدافع عن نفسه، وأنت تذكر عيباً هو فيه.

لماذا يقع الإنسان في الغيبة؟

إنّ لكلّ مرض خلقي أسبابه، وكذلك الحال في الغيبة، ومن أسبابها:

1- الهزل: فإنّ الإنسان وبدافع إضحاك الآخرين، يتحدّث عن أحد إخوانه، بموقف مضحك وقع فيه، وهو بهذا يقع في غيبته.

2- المباهاة: نتيجة لما يراه الإنسان في نفسه من كبرٍ، فإنّه يسعى للذكر معائب غيره ليظهر محاسن نفسه.

¹ سورة الحجرات، الآية 12.

3- المجازاة: كثيراً ما يقع الإنسان في الغيبة مجازاة لأصدقائه، فحيث لا يجد حديثاً يتحدث به، يبدأ باستغابة الآخرين، ويجعلهم مادة دسمة لأحاديثه ليقضي بذلك مجالس أنسه وسمره.

عقاب الغيبة

1- الفضيحة في الدين: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه لا تدموا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عوراته، ومن تتبع الله عوراته يفضحه ولو في بيته"¹.

2- الفضيحة في البرزخ: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم، قلت: يا جبرائيل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم"².

3- الفضيحة في الآخرة: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "... من مشى في غيبة أخيه وكشف عورته كانت أول خطوة خطاها وضعها في جهنم وكشف الله عورته على رؤوس الأشهاد"³.

4- تحوّل حسانه إلى من اغتابه: عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الرب عز وجلّ ويُرفع إليه كتابه فلا يرى حسناته فيه، فيقول: إلهي ليس هذا كتابي فإنّي لا أرى فيه حسناتي. فيقال له: إنّ ربك لا يضلّ ولا ينسى، ذهب عملك باغتيال الناس. ثمّ يؤتى بآخر ويدفع إليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة، فيقول: إلهي ما هذا كتابي فإنّي ما عملت هذه الطاعات، فيقال له: إنّ فلاناً اغتابك فدفع حسناته إليك"⁴.

¹ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص 354.

² العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج72، ص 221.

³ النراقي، جامع السعادات، ج2، ص 232.

⁴ الشيخ ريشهري، ميزان الحكمة، ج3، ص 2330.

كيف نعالج الغيبة؟

لا بدّ أولاً من التصميم على معالجة هذا المرض الأخلاقيّ، ولا سيّما عندما يتفق الأصدقاء والأصحاب مع بعضهم البعض على الابتعاد عن هذا المرض، فيذكّر أحدهم الآخر عند وقوعه به.

كما أنّ على الإنسان أن يستحضر دائماً تلك الصورة القبيحة، التي صوّر فيها القرآن الغيبة، ويضع نفسه مكان المغتاب، فهل يرضى أن يكون كصورة ذلك الميت الذي لا يمكنه أن يدافع عن نفسه، وأخ له ينهش لحمه. وعليه أن يستحضر ذلك العذاب الذي أعدّه الله تعالى للمغتائبين.

بذاءة اللسان

من الذنوب اللسانية غير ما تقدّم، أن يرتكب الإنسان: الفحش، والسبّ والقذف.

فالفحش، عبارة عن الألفاظ القبيحة التي يراها الناس كذلك، كألفاظ العورة ونحو ذلك.

وأما السبّ، فهو الشتم، وهو عبارة عن إطلاق بعض الألفاظ كأسماء بعض الحيوانات على الغير بقصد إهانته وتحقيره.

وأما القذف، فهو اتّهام الغير بالزنا أو وصفه بأنّه ابن زنا، أو ابن حرام ونحو ذلك.

ورد عن رسول الله: "إنّ الله حرّم الجنّة على كلّ فحاشٍ بديءٍ، قليلٍ الحياءِ، لا يُبالي ما قالَ ولا ما قيلَ له"¹.

وعن الإمام موسى الكاظم عليه السلام في رجلين يتسابان قال: "البادي منهما أظلم، ووِزرُهُ ووِزرُهُ صَاحِبِهِ عَلَيْهِ، ما لَمْ يَعْتَذِرْ إِلَى الْمَظْلُومِ"².

وفي الرواية أنّه كان لأبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام صديق لا يكاد يفارقه إذا ذهب مكاناً، فبينما هو يمشي معه في الحدّائين، ومعه غلام له سنديّ يمشي خلفهما، إذ التفت الرجل يريد غلامه ثلاث مرّات فلم يره، فلمّا نظر في الرابعة قال: يا ابن

¹ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 60، ص 207.

² الشيخ الكليني، الكافي، ج 2، ص 322.

الفاعلة أين كنت؟ قال: فرغ أبو عبد الله عليه السلام يده فصكَّ بها جبهة نفسه، ثمَّ قال عليه السلام: "سُبْحَانَ اللَّهِ تَقْدِيفُ أُمَّهُ، قَدْ كُنْتُ أَرَى أَنَّ لَكَ وَرَعًا فَإِذَا لَيْسَ لَكَ وَرَعٌ، فَقَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ أُمَّهُ سَنَدِيَّةٌ مُشْرِكَةٌ، فَقَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ نِكَاحًا؟ تَنَحَّ عَنِّي، قَالَ: فَمَا رَأَيْتَهُ يَمْشِي مَعَهُ حَتَّى فَرَّقَ الْمَوْتَ بَيْنَهُمَا. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ نِكَاحًا يَحْتَجِزُونَ بِهِ مِنَ الرَّنَا"¹.

طيب الكلام

ومقابل بذاءة اللسان، حثَّ الإسلام على طيب الكلام، يقول تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾².

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "منه السلام، وإليه يرَدُّ السلام، وإليه يعود طيب الكلام"³.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لما سأله رجل عن أفضل الأعمال: "إطعام الطعام، وإطياب الكلام"⁴.

وإنَّ من إيجابيات طيب الكلام محبة الناس لك، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: "عود لسانك لين الكلام وبذل السلام، يكثر محبّوك ويقلّ مبغضوك"⁵.

وعنه عليه السلام: "من عذب لسانه كثر إخوانه"⁶.

¹ الشيخ الكليني، ج 2، ص 324.

² سورة البقرة، الآية 83.

³ ابن حمزة الطوسي، الثاقب في المناقب، ص 281.

⁴ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 71، ص 312.

⁵ الأمدى، غرر الحكم، 2568.

⁶ م.ن، 2568.

علاج آفات اللسان

كما سبق وأشرنا . فإنَّ آفات اللسان لا تُحصى، كذلك فإنَّ فضائل اللسان ومحاسنه لا حصر لها عند أهل الفضل والإيمان، الذين يخطون نهجاً رسالياً في الحياة ونموذجاً يتأسى به الناس، حيث كل كلمة تصدر منهم هي ذكر طيب، ينشرون من خلاله الفضائل والقيم وقيمون أحسن العلاقات بين الناس، ويتقربون بأخلاقهم الحسنة إلى الباري عز وجل، ولذلك وجب على الإنسان أن يتمتع ببعض المواصفات التي تبعد عنه فلتات اللسان، منها الصدق في القول وقول الأحسن والتأدب بآداب الإسلام في الحديث.

التأدب بآداب الإسلام

يجب على الإنسان المؤمن أن يتأدب بأدب الإسلام في حديثه وكلامه حتى لا يوقعه في المحظورات والمحرمات، وعليه أن يتفكر في الحديث قبل أن يتكلم به، لأنَّ "زَلَّةَ اللِّسَانِ أَشَدُّ هَلَاكاً"¹ كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام. ومن الأمور التي ينبغي على المؤمن اتباعها في حديثه:

1- خفض الصوت: وهو الكلام بصورة هادئة دون جدال وصخب وصياح، لأنَّ الصياح خصوصاً في حال النقاش والحوار، لإثبات الحجج، يقلل من شأن المتحدث ويسلب منه الوقار والحياء، لذلك كانت وصية لقمان لابنه في جملة مواعظه له: ﴿وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾². ولم يتوقف الأمر في التوجيه عند هذا الحد، حيث يوجه الله عبده في كيفية المناقشة بقوله: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾³. ومن جملة معاني ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أن يتكلم بصوت هادئ ومنخفض بشكل يعكس الثقة بالنفس والتمكّن من الفكرة.

¹ الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص 277.

² سورة لقمان، الآية 19.

³ سورة النحل، الآية 125.

2- ترك اللغو: إنّ على الإنسان المؤمن أن يكون جاداً في حياته، فيترك جلسات البطالة والخوض في الباطل، واللغو من الكلام، ومن اللغو كثرة المزاح، صحيح أنّ المزاح في حدّ ذاته أمر لا بأس به بين الإخوان لما فيه من المفاكحة وإدخال السرور، ولكن كثرة المزاح له آثار سيّئة. خاصة إن كان بالكذب والباطل والاستهزاء والسخرية من الآخرين. يقول تعالى واصفاً المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾¹. ويروى عن أمير المؤمنين عليه السلام: "كثرة المزاح تذهب بماء الوجه، وكثرة الضحك تمجّ الإيمان مجاً"².

أخيراً:

إنّ الإنسان بعد أن علم أنّ الحساب يوم القيامة دقيق حتّى على مقدار الذرة من القول والفعل، وحيث إنّ لديه من يحصي عليه أنفاسه وسكناته وكلامه: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾³. يصبح من اللازم عليه أن يبادر إلى ضبط الخلل الواقع في أقواله بناءً على أمر الله تعالى: ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾⁴.

¹ سورة المؤمنون، الآية 3.

² الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص664.

³ سورة ق، الآية 18.

⁴ سورة النساء، الآية 9.

تمارين

1. أعرّف:

- الغيبة:
- آفات اللسان:

2. أعدّد سببين من أسباب الوقوع في الغيبة:

3. أذكر سبل معالجة الغيبة واقترح علاجاً عملياً آخر:

4. أُميّز بين أنواع آفات اللسان:

- الفُحش:
- السب:
- القذف:

5. أبين سلبيات ممارسة آفات اللسان في المجتمع (سلبيتان):

الدرس السابع: تهذيب الجوارح (1)

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يتعرّف إلى أهمية تهذيب جارحة العين والسمع من الآثام والمعاصي.
- 2- يبيّن فوائد غض البصر وتهذيب السمع على سلوك الإنسان المعنوي.
- 3- يحدّد كيفية غض البصر وتهذيب السمع بحسب الموازين الشرعية.

تهذيب العين

العين جهاز عظيم خلقه الله عزَّ وجلَّ في هذا الإنسان، فهو طريقه ليتعرَّف إلى العالم المحيط به، والإنسان بهذه العين يرى عجائب الكون التي هي آيات تدلُّ على الله عزَّ وجلَّ، ولكن قد يسيء الاستفادة من هذه العين فتعود بالسوء عليه وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: "كم من نظرة جلبت حسرة"¹.

1- لماذا الحثُّ على غضِّ البصر؟

قد يسأل أحدهم وما المشكلة في نظرة عابرة إذا لم تؤد إلى الوقوع في الحرام؟ فهي نظرة تنتهي بانتهاء المشهد العابر.

ولكنَّ الجواب: إنَّ هذه العين هي جهاز يتولَّى وظيفة نقل الصور، وهذه الصور سوف تنطبع في القلب، فترسخ في عقل الإنسان، وتترك آثارها على روحه، ولذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: "العيون طلائع القلوب"². وفي الآية الكريمة نقراً: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾³.

إنَّ هذه النظرة العابرة تتحوَّل بآباً لمعصية الله عزَّ وجلَّ، لأنَّها تعمي القلب عن الإبصار الحقيقي ففي الرواية عن الإمام عليٍّ عليه السلام: "إذا أبصرت العين الشهوة عمي القلب عن العاقبة"⁴. فيتعطل تفكير هذا الإنسان ويسلم أمره إلى شهوته التي تسير به حيث تشاء.

¹ الخزازي، تحف العقول، ص 90.

² محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ج 4، ص 3288.

³ سورة النور، الآية 30.

⁴ ميزان الحكمة، ج 4 ص 3288.

ولكن تظهر حسرة الإنسان في يوم القيامة على هذه النظرة، وذلك لأنه في ذلك اليوم سوف تنكشف له عاقبة هذه النظرة التي وقع فيها.

2- فوائد غضّ البصر:

لو أمسك الإنسان - بقوة إرادته - هذه العين من أن تسير به نحو المعاصي فإنه سوف يحصد ثماراً مهمة في تربية نفسه والسلوك بما نحو طاعة الله عزّ وجلّ، وفوائد ذلك:

أ- **حلاوة العبادة:** إنّ العبادة التي تُقرب هذا الإنسان من الله عزّ وجلّ هي تلك العبادة التي يلتذُّ بها الإنسان، لأنه يؤدّيها وهو مُقبِلٌ بقلبه على الله عزّ وجلّ، ومتى ارتكب الإنسان المعاصي، وشغلته عينه عن التفكير في العبادة، وأخذت به للتفكير ناحية المشهد الذي انطبع في عقله بسبب ما رآه هذه العين فلن يذوق حلاوة العبادة.

وفي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ما من مسلم ينظر امرأة أول رمقة، ثم يغضّ بصره إلا أحدث الله تعالى له عبادة يجد حلاوتها في قلبه"¹.

ب- **الحصانة:** إذا كانت النظرة باباً من أبواب الذنوب، فإنّ غضّ النظر هو باب من أبواب تحصين هذه النفس من ارتكاب الذنوب. ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: "ما اعتصم أحدٌ بمثل ما اعتصم بغضّ البصر، فإنّ البصر لا يغضّ عن محارم الله إلا وقد سبق إلى قلبه مشاهدة العظمة والجلال"².

3- كيف نغضّ بصرنا؟

إنّ أبرز الوسائل المساعدة على غضّ البصر هي التفكير بعاقبة النظرة المحرّمة، وما قد تؤدّي إليه من الوقوع في معصية الله.

إذا كنت شخصاً تعتبر نفسك في عداد عباد الله المؤمنين فعليك أن تعلم أنّ النظر إلى ما يحرم النظر إليه ليس من صفات المؤمنين. فالشخص الذي يتجاوز بنظره عمّا سمح الله به يستحي منه ومن صحبته المؤمنون.

¹ ميزان الحكمة، ج 4، ص 3292.

² م. ن، ج 4، ص 3293.

تهذيب السمع

قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾¹.

تتحدّث الآية بوضوح عن مسؤوليّة الإنسان تجاه حاسة السمع، وهذه المسؤوليّة تنبع من الاختيار الإنسانيّ، فالأذن تسمع كلّ شيء، ولكنّ إرادة الإنسان هي التي تتحكّم بهذه الأذن، فتستفيد منها في طاعة الله لا في معصية الله.

وقد ورد النهي الشديد في الآيات وفي الروايات عن الاستماع لما يكون موجّباً لغضب الله عزّ وجلّ ومن ذلك الغناء. قال تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾². وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: "الغناء ممّا وعد الله عليه النار"³ ثمّ تلا هذه الآية.

إنّ الغناء هو ترجيع الصوت المناسب لمجالس اللهو، فهو باب من الأبواب التي تدعو الإنسان للوقوع في المعاصي. واجتناب هذه المجالس يحصّن الإنسان من الوقوع في المعاصي.

ولذا لم يقتصر التحذير من الاستماع إلى الأغاني، بل ورد التحذير من الحضور في مجالس الغناء، لأنّ ذلك يتنافى مع شخصيّة الإنسان المؤمن، بل يؤدّي ذلك إلى التشجيع على ارتكاب هذه الفاحشة.

إنّ الاستماع إلى الغناء يؤثّر في القلب، كما هو الحال في النظرة المحرّمة، وشيئاً فشيئاً يزداد تأثيره إلى أن يتحوّل الإنسان من الإيمان إلى النفاق، قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "إيّاكم واستماع المعازف والغناء، فإنّهما يُنبِتَانِ النفاق في القلب كما يُنبِتُ الماءُ البقل"⁴، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: "يحشر صاحب الغناء من قبره أعمى وأخرس وأبكم"⁵.

¹ سورة الإسراء، الآية 36.

² سورة لقمان، الآية 6.

³ الشيخ الكليني، الكافي، ج6، ص431.

⁴ ميزان الحكمة، ج3، ص2312.

⁵ المحقّق النراقي، مستند الشيعة، ج14، ص132.

وعن أبي عبد الله عليه السلام: "بيت الغناء لا يؤمن فيه الفجیعة، ولا يُجاب فيه الدعوة، ولا يدخله الملائكة"¹.

البصر والسمع مقدّمة للزنا

لقد حرّم الإسلام الزنا تحريماً مبرماً وجعله من كبائر الذنوب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾².

ونلاحظ في الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى حدّثنا عن الاقتراب من الزنا، لا الوقوع فحسب، والاقتراب يتحقّق في فعل المقدمات التي تُسقط في الفاحشة الكبرى.

والمقدمات تتحقّق من خلال النظر الحرام، والسمع الحرام، واللمس الحرام. فعلى الإنسان المؤمن قطع الطريق على الشيطان الرجيم، بأن لا يشاهد في التلفاز البرامج المحرّمة شرعاً، ولا يرتاد المحطات الفاسدة في الستلايت والانترنت، ولا يسمع الغناء والموسيقى المحرّمين.

فإنّ الإنسان أقدر على ضبط نفسه إن لم يقع في المقدمات المحرّمة. وقد ورد في مفاصد الزنا الكثير من الروايات، منها:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "في الزنا ست خصال، ثلاث في الدنيا وثلاث منها في الآخرة، فأما التي في الدنيا فيذهب بالبهاء، ويُعجّل الفناء، ويقطع الرزق، وأمّا التي في الآخرة، فسوء الحساب وسخط الرحمن، والخلود في النار"³.

¹ المحقّق النراقي، مستند الشيعة، ص 132.

² سورة الإسراء، الآية 32.

³ الشيخ الصدوق، الخصال، ص 321.

تمارين

1. أذكرُ فائدتين للعين التي وهبنا الله تعالى إيّاها:

2. أبين أثر النظرة على الإنسان وخطورتها انطلاقاً من حديث أمير المؤمنين عليه السلام:

3. أعدّد فوائد غضّ البصر وأذكر شاهداً على ذلك:

4. أعرف الغناء وأذكر أسباب تحريمه:

5. أقدم اقتراحين يُسهمان في تحصين النفس وتهذيبها من مخاطر النظر والسمع المحرّمين:

الدرس الثامن: تهذيب الجوارح (2)

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يعدّد فوائد اليد وما ينبغي ينزّه الإنسان يديه عنه.
- 2- يبيّن الآثار السلبية للسرقة والاعتداء على الغير.
- 3- يشرح كيف يمكن تكون اليد طريقاً إلى الجنة.

تهذيب اليد

اليد هي باب قضاء الإنسان لما يحتاج إليه، ويكفي أن تنظر إلى شخص قد قطعت يده بسبب حادثة ما لتدرك مدى الفائدة المترتبة على ما وهبه الله لك من يدين تستعين بهما على أمورك كلها. وهذه اليد كما يمكن أن يتصرف الإنسان فيها فيما يرضي الله عز وجل قد ينحرف الإنسان فيستخدمها في معصية الله عز وجل.

فما هي الأمور التي يجب تهذيب هذه الجارحة وتربيتها على الاجتناب عنها؟ نزه يدك عن:

السرقه

هي من أعظم موارد ظلم الآخرين، فتعتدي على مالٍ يملكه غيرك وقد عانى في سبيل جمعه أو كان بحاجة إليه، فتمنعه من أن يستفيد منه.

والسرقه كما تتم بطريق مباشر بأن تمد يدك إلى مالٍ ليس لك وتتصرف به بما تشاء. فإن لها مصاديق أخرى، كما لو أعطاك أحدهم أمانة أو ديناً فأخذته ولم تُرجعه إليه، ولم يكن في نيتك أن تُرجعه إليه.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: "السراق ثلاثة: مانع الزكاة، ومستحل مهور النساء، وكذلك من استدان ولم ينو القضاء"¹.

¹ ميزان الحكمة، ج2، ص1299.

وللسرقة عواقب ونتائج سلبية عديدة منها:

- أ- العقاب الإلهي: إنّ السرقة هي من الذنوب الكبيرة التي توعدّ الله عزّ وجلّ فاعلها بنار جهنّم.
ب- العقاب الدنيوي: حدّدت الشريعة عقوبة قطع اليد في السرقة، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾¹.

ج- العقاب البشري: إنّ الناس المحيطين بهذا السارق سوف يفقدون ثقتهم به، ولا يعتمدون عليه، بل سوف يلومونه على هذا الفعل، فيكون محترقاً بين الناس. وهو ما تحدّث عنه الإمام زين العابدين عليه السلام في قوله: "ومن الناس باللائمة في العاجل".

منع الحقوق (عدم الأمانة)

ومن مصاديق السرقة أن تمتنع الآخرين من حقّ هو لهم، كما لو كنت شريكاً في مالٍ مع غيرك فمنعته من ذلك المال، ولم تعطه ماله.

وقد تعرّض الإمام زين العابدين عليه السلام لكلا النوعين من السرقة في كلامه حيث يقول: "وأما حقّ يدك، فإن لا تبسطها إلى ما لا يحلّ لك بما تبسطها إليه من العقوبة في الآجل، ومن الناس بلسان اللائمة في العاجل، ولا تقبضها ممّا افترض الله عليها"².

¹ سورة المائدة، الآية 38.

² الحزاني، تحف العقول، ص257.

فعلى الإنسان المؤمن أن يكون أميناً على أموال الآخرين، وإلا لا يكون مؤمناً على الحقيقة، يقول تعالى واصفاً المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾¹.

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾².

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: "أقسم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لي قبل وفاته بساعة مراراً ثلاثاً: يا أبا الحسن أذّ الأمانة إلى البرّ والفاجر في ما قلّ وجلّ حتى في الخيط والمخيط"³.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "لا إيمان لمن لا أمانة له"⁴.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: "عليكم بأداء الأمانة، فوالذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحقّ نبياً لو أنّ قاتل أبي الحسين بن علي عليهما السلام ائتمني على السيف الذي قتله به لأدّيته إليه"⁵.

الاعتداء على الغير

إنّ من أعظم ما يُبتلى به الإنسان وهو في مقتبل العمر وعنقوان الشباب، أن يُقدّم على الاعتداء على الآخرين، إثباتاً لقوّة نفسه أو بسبب فورة غضبٍ تتحكّم به، وهو لا يدري أنّه بذلك يهوي إلى نار جهنّم، وأنّ هذا الأمر هو باب من أبواب الشيطان. وفي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "... ألا ومن لطم خدّ امرئ مسلم أو وجهه بدّد الله عظامه يوم القيامة، وحُشر مغلولاً حتّى يدخل جهنّم إلا أن يتوب"⁶.

¹ سورة المؤمنون، الآية 8.

² سورة النساء، الآية 58.

³ بحار الأنوار، ج 74، ص 273.

⁴ م.ن، ص 198.

⁵ م.ن، ج 72، ص 114.

⁶ الأحمدى المياجي، مكاتيب الرسول، ج 2، ص 149.

اليد طريق إلى الآخرة

إنَّ هذه اليد تشكّل طريقاً لهذا الإنسان يصل به إلى سعادة الآخرة، وذلك متى زرع بهذه اليد بذوراً تثمر في آخرته فتكون سبباً لدخوله الجنة:

1- الجهاد في سبيل الله: وعد الله عزَّ وجلَّ المجاهدين في سبيله أجراً عظيماً، وهذا الجهاد إنما يكون بما يبذله الإنسان في سبيل إعلاء راية الدين والدفاع عن المستضعفين، فحركة اليد التي يقصد فيها الإنسان وجه الله عزَّ وجلَّ هي جهاد في سبيل الله.

2- العمل الصالح: إنَّه القرين الذي يُرافق الإنسان إلى قبره وفي يوم بعثه عندما يقوم للحساب. وهذا العمل الصالح يعتمد بشكل أساس على يد الإنسان، فبهذه اليد يدفع الصدقة للفقير والمحتاج، وبها يمدُّ يد العون إلى المستضعفين والمظلومين، وبها يدفع الأذى عن المسلمين.

تمارين

1. أذكر أهمية جراحة اليد وعلاقتها بعاقبة الإنسان في الآخرة:

2. أعدد ثلاث أشكال من الممارسات السلبية التي يمكن أن يقع فيها الإنسان من جراحة اليد:

3. أعرّف السرقة وأنواعها:

4. أتحدّث عن مضارّ السرقة من خلال أنواع العقوبات التي سيتحمّلها السارق:

5. أعيّن المشكلة التي يقع فيها الشباب خصوصاً في مقتبل العمر من خلال جراحة اليد، وأبيّن أسباب ذلك:

الدرس العاشر: الصبر

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يتعرف إلى مفهوم الصبر ومنزلته من الإيمان.
- 2- يعدد علامات الصابر.
- 3- يذكر واع الصبر وآثاره الطيبة.

الصبر

قال تعالى على لسان لقمان في عِظَتِهِ لابنه: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾¹.

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾².

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: "الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، فَإِذَا ذَهَبَ الرَّأْسُ ذَهَبَ الْجَسَدُ، كَذَلِكَ إِذَا ذَهَبَ الصَّبْرُ ذَهَبَ الْإِيمَانُ"³.

مفهوم الصبر

يمكن أن يُعرَّفَ الصبر، بأنّه تحمّل المراتب والآلام والظروف القاسية التي تُمارَس وتُفرض على شخص ما.

وقد يُعرَّف: بأنّه مقاومة الإنسان المتكامل (السالك طريق الكمال والسعادة) للدوافع الشريرة المفسدة.

مثالٌ توضيحيّ: يُمكن لنا أن نشبّه الصبر بشخص يريد تسلّق جبل، فأتثناء تسلّقه للوصول إلى القمم العالية يوجد موانع ومصاعب، قسم منها يتعلّق بهذا المتسلّق وينبع من

¹ سورة لقمان، الآية 17.

² سورة البقرة، الآيات 155 و 156.

³ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص88.

نفسه، والقسم الآخر يرجع إلى العوامل الخارجيّة، فيعملان معاً على الحدّ من حركته.

أمّا ما يرجع إلى الإنسان نفسه، فهو طلب الراحة، والخوف أو اليأس من الوصول إلى الهدف، يضاف إلى ذلك الأهواء المختلفة التي تتجادلُها وتعمل على منعه من الاستمرار في التسلّق والصعود، حيث تنخفض حرارة الاندفاع بسبب استمرار تلك الأفكار والوسوس.

أمّا في ما يرجع إلى العوامل الخارجيّة، فهناك الصخور الضخمة، والذئاب، والأشواك، وقطّاع الطرق، وأمثالها، وكلّ منها يهدّد الإنسان، ويمنعه من متابعة مسيره، ومثل هذا الشخص الذي يواجه هذه المتاعب والمصاعب، إمّا أن يقرّر عدم مواصلة السير بسبب المخاطر والآلام والمشاقّ، وإمّا أن يصبح الأمر عنده معاكساً، حيث يزداد عزمه قوّة وثباتاً، ويقرّر أن يقاوم جميع الموانع الداخليّة والخارجيّة، وبالاعتماد على عامل المثابرة والتحمّل، يدفع هذه الموانع من طريقه ويواصل المسير، وهذا ما نسميه الصبر.

منزلة الصبر من الإيمان

ومن هنا نستطيع أن نفهم معنى الحديث القائل بأنّ الصبر يمثّل رأس الإيمان أي حياة الإيمان في نفس الإنسان.

لو عدنا إلى حقيقة الإيمان الذي يمكن أن يحمله الإنسان، لوجدناه عبارة عن تحرك الإنسان نحو تحقيق رضى الله سبحانه وتعالى، وذلك من خلال سلوك طريق العبودية لله تعالى.

وطريق العبوديّة، يُختصر بمجموعة الأحكام والتكاليف الصادرة من الله تعالى، والتي تشمل: فعل الواجبات، وترك المحرّمات.

وفي هذه الأحكام ما هو سهل القيام به أو الامتناع عنه. ومنها ما يحتاج إلى بذل الجهد وتحمل المشاق، كالجهاد في سبيل الله أو ترك بعض المحرّمات كالغيبية، والنظر الحرام وغيرها.

العلاقة بين الصلاة والصبر

إنَّ أهمَّ تكليفٍ يَحْمِقُ الصَّلَاةَ وشِدَّةَ الارتباطِ باللهِ تعالى هو إقامة الصلاة، وقد أمرنا اللهُ بها، وأمرنا أن نتحمَّلَ ونجاهدَ من أجل إقامتها، لأنَّها عمود الدين، وعليه ولكي نكون من المصلِّين، لا بدَّ أن نصرَّ على الصلاة.

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾¹.

وقال تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾².

ولذلك، فإنَّ الإيمان باللهِ تعالى لا يتحقَّق ما لم يكن الصبر قائده، وما لم يتحمَّل المرء ويصبر على فعل الطاعات، وترك المحرِّمات، وحينها يمكن أن يسلك في صراط العبودية لله سبحانه وتعالى.

أنواع الصبر

إنَّ العوامل المانعة من تكامل الإنسان وسلوكه في صراط العبودية لله تعالى، يمكن أن نقسمها إلى ثلاثة:

- أ- العوامل المانعة التي تؤدِّي إلى ترك الواجبات.
- ب- العوامل التي تدفع نحو فعل المحرِّمات وارتكاب الذنوب.
- ج- العوامل التي تجلب حالة عدم الاستقرار وعدم الثبات الروحي.

أما الصبر، فإنَّه يعني المقاومة وعدم الاستسلام في مواجهة هذه العوامل الثلاثة، التي لا شكَّ أنَّها تقف وراء فعل المحرِّمات وارتكاب الذنوب.

¹ سورة طه، الآية 132.

² سورة البقرة، الآية 153.

وبهذا التوضيح يمكننا أن نفهم عمق الحديث الذي ينقله أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية"¹.

1- فالصبر على المصيبة: حينما يُبتلى الإنسان برزقه أو يموت أحد أقاربه وأحبائه، أو المرض...

2- أما الصبر على الطاعة: فالصبر على الصلاة والصوم والحج والجهاد وأداء الخمس...

3- والصبر عن المعصية: كالصبر على ترك الغيبة والكذب والنظر المحرم.

في كل مورد من الموارد الثلاثة، عندما تأتي الحوادث المؤلمة، وعندما يُطلب من الإنسان القيام بتكليف، أو يقع بامتحان ارتكاب معصية ما، يأتي دور ظهور القوة والبطولة والصلابة أمام هذه العواصف والمخزبات.

علامات الصابر

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "علامة الصابر في ثلاث: أولها أن لا يكسل، والثانية أن لا يضجر، والثالثة أن لا يشكو من ربه عز وجل، لأنه إذا كسل فقد ضيع الحقوق، وإذا ضجر لم يؤد الشكر، وإذا شك من ربه عز وجل فقد عصاه"².

آثار الصبر ونتائجه

النتائج القريبة: وهي التي تظهر في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

¹ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص91.

² الصدوق، علل الشرائع، ج2، ص498.

بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ¹. وهكذا، فانتصار الإنسان على نفسه في الصبر، هو أهمّ ما يمكن أن يحقّقه، ولذا كان سبحانه دائماً مع الصابرين كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾².

أما الآثار في الآخرة، فتتمثل في هذه الرواية، فعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: "إِذَا دَخَلَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ، كَانَتِ الصَّلَاةُ عَنْ يَمِينِهِ وَالزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ، وَالْبِرُّ مُطْلَقٌ عَلَيْهِ وَيَتَنَحَّى الصَّبْرُ نَاحِيَةً. فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ الْمَلَكُ اللَّذَانِ يَلْيَانِ مُسَاءَلَتَهُ، قَالَ الصَّبْرُ لِلصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْبِرِّ: دُونَكُمْ صَاحِبُكُمْ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْهُ فَأَنَا دُونُهُ"³.

¹ سورة الأنفال، الآية 65.

² سورة البقرة، الآية 153، وسورة الأنفال، الآية 46.

³ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص90.

تمارين

1. أحدّد معنى:

- : الصبر:
----- موقع الصبر من الإيمان:

2. أبين لماذا ربط الله تعالى بين الصلاة والصبر:

3. أميّز بين أنواع الصبر مستفيداً من حديث أمير المؤمنين عليه السلام:

4. أكمل علامات الصبر:

- إذا كسل:
----- إذا ضجر:
----- إذا شكّا:

5. أبحث في القرآن الكريم وفي كتب الحديث عن عواقب الصبر ونتائجه الدنيوية والآخروية:

الدرس العاشر: الصبر

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يتعرف إلى مفهوم الصبر ومنزلته من الإيمان.
- 2- يعدد علامات الصابر.
- 3- يذكر واع الصبر وآثاره الطيبة.

الصبر

قال تعالى على لسان لقمان في عِظَتِهِ لابنه: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾¹.

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ﴾².

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: "الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، فَإِذَا ذَهَبَ الرَّأْسُ ذَهَبَ الْجَسَدُ، كَذَلِكَ إِذَا ذَهَبَ الصَّبْرُ ذَهَبَ الْإِيمَانُ"³.

مفهوم الصبر

يمكن أن يُعرّف الصبر، بأنّه تحمّل المراتب والآلام والظروف القاسية التي تُمارَس وتُفرض على شخص ما.

وقد يُعرّف: بأنّه مقاومة الإنسان المتكامل (السالك طريق الكمال والسعادة) للدوافع الشريرة المفسدة.

مثال توضيحي: يُمكن لنا أن نشبّه الصبر بشخص يريد تسلّق جبل، فأتناء تسلّقه للوصول إلى القمم العالية يوجد موانع ومصاعب، قسم منها يتعلّق بهذا المتسلّق وينبع من

¹ سورة لقمان، الآية 17.

² سورة البقرة، الآيات 155 و 156.

³ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص88.

نفسه، والقسم الآخر يرجع إلى العوامل الخارجيّة، فيعملان معاً على الحدّ من حركته.

أمّا ما يرجع إلى الإنسان نفسه، فهو طلب الراحة، والخوف أو اليأس من الوصول إلى الهدف، يضاف إلى ذلك الأهواء المختلفة التي تتجادّبه وتعمل على منعه من الاستمرار في التسلّق والصعود، حيث تنخفض حرارة الاندفاع بسبب استمرار تلك الأفكار والوسوس.

أمّا في ما يرجع إلى العوامل الخارجيّة، فهناك الصخور الضخمة، والذئاب، والأشواك، وقطّاع الطرق، وأمثالها، وكلّ منها يهدّد الإنسان، ويمنعه من متابعة مسيره، ومثل هذا الشخص الذي يواجه هذه المتاعب والمصاعب، إمّا أن يقرّر عدم مواصلة السير بسبب المخاطر والآلام والمشاقّ، وإمّا أن يصبح الأمر عنده معاكساً، حيث يزداد عزمه قوّة وثباتاً، ويقرّر أن يقاوم جميع الموانع الداخليّة والخارجيّة، وبالاعتماد على عامل المثابرة والتحمّل، يدفع هذه الموانع من طريقه ويواصل المسير، وهذا ما نسمّيه الصبر.

منزلة الصبر من الإيمان

ومن هنا نستطيع أن نفهم معنى الحديث القائل بأنّ الصبر يمثّل رأس الإيمان أي حياة الإيمان في نفس الإنسان.

لو عدنا إلى حقيقة الإيمان الذي يمكن أن يحمله الإنسان، لوجدناه عبارة عن تحرك الإنسان نحو تحقيق رضى الله سبحانه وتعالى، وذلك من خلال سلوك طريق العبودية لله تعالى.

وطريق العبوديّة، يُختصر بمجموعة الأحكام والتكاليف الصادرة من الله تعالى، والتي تشمل: فعل الواجبات، وترك المحرّمات.

وفي هذه الأحكام ما هو سهل القيام به أو الامتناع عنه. ومنها ما يحتاج إلى بذل الجهد وتحمل المشاق، كالجهاد في سبيل الله أو ترك بعض المحرّمات كالغيبية، والنظر الحرام وغيرها.

العلاقة بين الصلاة والصبر

إنَّ أهمَّ تكليفٍ يَحْمِقُ الصَّلَاةَ وَشِدَّةَ الارتباطِ باللهِ تعالى هو إقامة الصلاة، وقد أمرنا اللهُ بها، وأمرنا أن نتحمَّلَ ونجاهدَ من أجل إقامتها، لأنَّها عمود الدين، وعليه ولكي نكون من المصلِّين، لا بدَّ أن نصرَّ على الصلاة. قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾¹.

وقال تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾². ولذلك، فإنَّ الإيمان باللهِ تعالى لا يتحقَّق ما لم يكن الصبر قائده، وما لم يتحمَّل المرء ويصبر على فعل الطاعات، وترك المحرِّمات، وحينها يمكن أن يسلك في صراط العبودية لله سبحانه وتعالى.

أنواع الصبر

إنَّ العوامل المانعة من تكامل الإنسان وسلوكه في صراط العبودية لله تعالى، يمكن أن نقسمها إلى ثلاثة:

- أ- العوامل المانعة التي تؤدِّي إلى ترك الواجبات.
- ب- العوامل التي تدفع نحو فعل المحرِّمات وارتكاب الذنوب.
- ج- العوامل التي تجلب حالة عدم الاستقرار وعدم الثبات الروحي.

أما الصبر، فإنَّه يعني المقاومة وعدم الاستسلام في مواجهة هذه العوامل الثلاثة، التي لا شكَّ أنَّها تقف وراء فعل المحرِّمات وارتكاب الذنوب.

¹ سورة طه، الآية 132.

² سورة البقرة، الآية 153.

وبهذا التوضيح يمكننا أن نفهم عمق الحديث الذي ينقله أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية"¹.

1- فالصبر على المصيبة: حينما يُبتلى الإنسان برزقه أو يموت أحد أقاربه وأحبائه، أو المرض...

2- أما الصبر على الطاعة: فالصبر على الصلاة والصوم والحج والجهاد وأداء الخمس...

3- والصبر عن المعصية: كالصبر على ترك الغيبة والكذب والنظر المحرم.

في كل مورد من الموارد الثلاثة، عندما تأتي الحوادث المؤلمة، وعندما يُطلب من الإنسان القيام بتكليف، أو يقع بامتحان ارتكاب معصية ما، يأتي دور ظهور القوة والبطولة والصلابة أمام هذه العواصف والمخزبات.

علامات الصابر

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "علامة الصابر في ثلاث: أولها أن لا يكسل، والثانية أن لا يضجر، والثالثة أن لا يشكو من ربه عز وجل، لأنه إذا كسل فقد ضيع الحقوق، وإذا ضجر لم يؤد الشكر، وإذا شك من ربه عز وجل فقد عصاه"².

آثار الصبر ونتائجه

النتائج القريبة: وهي التي تظهر في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

¹ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص91.

² الصدوق، علل الشرائع، ج2، ص498.

بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ¹. وهكذا، فانتصار الإنسان على نفسه في الصبر، هو أهمّ ما يمكن أن يحقّقه، ولذا كان سبحانه دائماً مع الصابرين كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾².

أما الآثار في الآخرة، فتتمثّل في هذه الرواية، فعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: "إذا دخل المؤمن في قبره، كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره، والبرُّ مُطْلَقٌ عَلَيْهِ وَيَتَنَحَّى الصَّبْرُ نَاحِيَةً. فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءً لته، قال الصبر للصلاة والزكاة والبر: دونكم صاحبكم، فإن عجزتم عنه فأنا دونه"³.

¹ سورة الأنفال، الآية 65.

² سورة البقرة، الآية 153، وسورة الأنفال، الآية 46.

³ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص90.

تمارين

1. أحدّد معنى:

- : الصبر:
----- موقع الصبر من الإيمان:

2. أبين لماذا ربط الله تعالى بين الصلاة والصبر:

3. أميّز بين أنواع الصبر مستفيداً من حديث أمير المؤمنين عليه السلام:

4. أكمل علامات الصبر:

- إذا كسل:
----- إذا ضجر:
----- إذا شكّا:

5. أبحث في القرآن الكريم وفي كتب الحديث عن عواقب الصبر ونتائجه الدنيوية والآخروية:

الدرس الحادي عشر: علاقة الإنسان بمحيطه الاجتماعي (1) - العلاقات المحرّمة

أهداف الدّرس

على الطّالب مع نهاية هذا الدّرس أن:

- 1- يحدّد الإطار الشرعي لعلاقة الإنسان المؤمن مع الآخرين من حوله.
- 2- يبيّن المظاهر المحرّمة في العلاقات. (الاختلاط، الخلوة، النظر، اللمس، المزاح).
- 3- يتنبّه إلى الآثار السلبية للعلاقات المحرّمة على سلوك الإنسان.

علاقات المؤمن بالآخر

يجب على الإنسان المسلم أن يحدّد علاقاته بالآخرين ضمن الأطر الشرعية حتى ينجو من الوقوع في المعصية من حيث لا يدري، وعليه أن يلتفت إلى هذه الأمور: (الاختلاط، النظر المحرم، كثرة المزاح) لما لها من أثر سلبي وسيء على حياة الإنسان المسلم، وبما تقدّمه من أرضية خصبة للوقوع في الحرام وانحراف السلوك والاستدراج إلى حياة اللهو والترّف والفسوق.

الاختلاط

المقصود من الاختلاط هو اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد سواء في بيت أو سوق أو طريق، ولئن كان الاختلاط ضروريّاً في بعض الأحيان باعتبار أنّ الإنسان يعيش في المجتمع الذي لا يخلو من ذلك، ولكن على المؤمن أن يقتصر على موارد الضرورة ويقلّل منه قدر الإمكان.

الخلوة المحرّمة

الإسلام حرّم خلوة الرجل الأجنبي مع المرأة الأجنبية، ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: "لا يخلو بامرأة رجل، فما من رجل خلا بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما"¹.

ويقول الإمام الخميني قدس سره: "إذا اجتمع الرجل والمرأة في محلّة خلوة، بحيث لم يوجد أحد هناك، ولا يتمكّن الغير من الدخول، فإن كانا يخافان من الوقوع في الحرام يجب عليهما ترك المكان"².

¹ مستدرک الوسائل، ج 14، ص 265.

² الإمام الخميني، توضيح المسائل، م 2445.

النظر

شدّد الإسلام على مسألة النظر واعتبر أنّ العين تزني وأنّ زناها هو النّظر الحرام، لذلك أمر الله تعالى بغضّ النّظر حيث قال سبحانه: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾¹.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: "النّظرة سهمٌ من سهام إبليس مسمومٌ. وكم من نظرة أورتت حسرةً طويلةً"².

وعنه عليه السلام: "النّظرة بعد النّظرة تزرع في القلب الشّهوة وكفى بها لصاحبها فتنةً"³.

بالطبع ليس كلّ نظر حرام، لأنّ النّظر تارة يكون إلى المماثل وأخرى إلى غير المماثل.

النظر إلى المماثل: يجوز أن ينظر الرجل إلى مماثله أي الرجل، وكذا المرأة إلى المرأة، لكن ما عدا العورة وبدون تلذذ وريبة، وإلا فالنّظر إلى العورة مطلقاً أو إلى سائر البدن مع تلذذ وريبة محرم⁴.

النظر إلى غير المماثل: فإمّا أن يكون إلى المحارم كالأمّ والأخت والعمّة والخالة، فهنا يجوز النّظر إلى ما عدا العورة وبدون تلذذ وريبة⁵.

وإمّا أن يكون إلى غير المحارم، فهنا لا يجوز نظر الرّجل إلى ما عدا الوجه والكفّين من المرأة الأجنبية من شعرها وسائر جسدها، سواء كان بتلذذ وريبة أم لا، وكذلك لا يجوز النّظر إلى الوجه والكفّين مع تلذذ وريبة⁶.

ولا يجوز للمرأة النّظر إلى الرّجل الأجنبيّ كالعكس ما عدا الوجه والكفّين⁷.

¹ سورة النور، الآية 30.

² الشيخ الكليني، الكافي، ج5، ص559.

³ وسائل الشيعة، ج2، ص192.

⁴ تحرير الوسيلة، ج2، ص217، م16.

⁵ م. ن، ج2، ص217، م17.

⁶ م. ن، ج2، ص217، م18.

⁷ م. ن، م19.

⁸ الإمام الخامني دام ظله: يجوز لها النظر إلى ما تعارف كشفه عند الرجال كالرأس والرقبة واليدين والقدمين ونحو ذلك.

اللمس

كلّ من يجرم النظر إليه يجرم مسّه، فلا يجوز مسّ الأجنبي الأجنبية وبالعكس، فلا يجوز مصافحة المرأة الرّجل ولا الرجل المرأة الأجنبية¹.

روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: "مَنْ صَافَحَ امْرَأَةً تَحْرُمُ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ، وَمَنْ التَزَمَ حَرَامًا قُرِنَ فِي سَلْسَلَةٍ مِنْ نَارٍ مَعَ الشَّيْطَانِ فَيَقْدِفَانِهِ فِي النَّارِ"².

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: "مَنْ صَافَحَ امْرَأَةً تَحْرُمُ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"³.

المزاح وكثرة الضحك

المزاح بين المؤمنين ومفاكحتهم مع المحافظة على الجوّ الإسلاميّ والروحانيّة الإيمانيّة، مطلوب لما فيه من إدخال سرور على المؤمنين.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: "ما مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَفِيهِ دُعَابَةٌ، قِيلَ وَمَا الدُّعَابَةُ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: المُزَاح"⁴.

ولكن إذا خرج المزاح عن حدّه يصبح مذموماً، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: "ما مَزَحَ رَجُلٌ مَزْحَةً إِلَّا مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً"⁵. والمقصود به المزاح الذي يُسْقِطُ الهيبة والوقار.

ولكنّ المزاح مع النساء أمر مبعوض عند الله تعالى، لأنّه من أسهل الأبواب لدخول إبليس اللعين إلى قلب الرجل والمرأة وكسر حاجز الحياء بينهما، وقد ورد في رواية عنه عليه السلام: "مَنْ فَأَكَةَ امْرَأَةً ... حَبَسَهُ اللَّهُ بِكُلِّ كَلِمَةٍ فِي الدُّنْيَا أَلْفَ عَامٍ"⁶.

¹ الإمام الخميني، تحرير الوسيلة، ج2، ص217، م20.

² العلامة المجلسي، بحار الأنوار، 101، ص32.

³ مستند الشيعة، ج16، ص60.

⁴ شرح أصول الكافي، ج11، ص144.

⁵ م. ن، ج11، ص144.

⁶ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج20، ص198.

تمارين

1. أبيّن لماذا حرّم الله الاختلاط والنظر المحرّم والمزاح:

2. أُميّز بين الاختلاط والخلوة المحرّمة:

3. أحدّد ما يجوز وما لا يجوز في النظر إلى المماثل وغير المماثل:

4. أظهر العلاقة بين النظر واللمس، وأبيّن عاقبة المصافحة بين الرجال والنساء من خلال أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

5. أصبح المزاح "ظاهرة" منتشرة في واقعنا وتساهم عدة عوامل في ذلك... بيّن:

- عاملين برأيك يؤثّران في ذلك: -----

- ونتيجتين من نتائج ذلك على شخصيّة الفرد وعلى المجتمع: -----

الدرس الثاني عشر: علاقة الإنسان بمحيطه الاجتماعي(2) - الأخوة والصدقة
أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يبيّن نظرة الاسلام الى التعامل مع المسلمين وغيرهم.
- 2- يبيّن أهمية اتخاذ الإخوة وآثارها على الإيمان والسلوك.
- 3- يتعرّف إلى أصناف الإخوان ومن ينبغي عليه يؤاخي.

تمهيد

لقد بُعث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في مجتمع جاهلي مليء بالعصبيات والنزاعات بين القبائل والعشائر، واستطاع في مدة قليلة من حياته الشريفة أن يطفى نار هذه النزاعات ويحوّل المجتمع القبليّ الجاهلي إلى مجتمع متماسك تربطه أواصر الأخوة، وتشدّه وشائج الإيمان، بحيث صنع منهم أمة أصبحت خير أمة أُخرجت للناس، واستطاع أن يُلغي كلّ الفوارق التي كانت سائدة وسبباً للنزاعات فيما بينهم، وحصر معيار التفاضل بالتقوى، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾¹.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام موصياً مالك الأشر في رعيته: "ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان إمّا أخ لك في الدين وإمّا نظير لك في الخلق"².

فالله جعلنا شعوباً وقبائل لتعارف لا لتحارب، هذه هي القاعدة الأولى في العلاقة مع الآخرين.

العلاقات العامة

يقول تعالى في مجال العلاقة مع غير المسلمين: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾³.

¹ سورة الحجرات، الآية 13.

² العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 33، ص 600.

³ سورة آل عمران، الآية 103.

فتلاحظ أنّ القرآن الكريم لم ينه عن التعامل بالحسنى مع غير المسلمين الذين لم يُقاتلوا، ولم يُعلنوا الحرب على المسلمين، بل نجده قد حثهم على معاملتهم بالعدل والقسط.

وأما علاقة المسلمين فيما بينهم، فيقول تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾¹.

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾².

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه"³.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"⁴.

ومن مجموع هذه الآيات والروايات نجد أنّ الإسلام قد نظر إلى المسلمين كالجسد الواحد، وأكد على التواد والتراحم فيما بينهم، وشدّ عرى الأخوة فيما بينهم، ونهى عن التنافر والتفرق والخلاف.

إتخاذ الإخوان

حثّ الإسلام على اكتساب الإخوان، وجعل ذلك من الفضائل التي ينبغي لكلّ مؤمن أن يتحلّى بها.

¹ سورة آل عمران، الآية 103.

² سورة الحجرات، الآية 10.

³ الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء، ج 3، كتاب الصحبة والمعاشر، الباب الثاني، ص 332.

⁴ ميزان الحكمة، ج 4، ص 2837.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة"¹.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: "من استفاد أخاً في الله عز وجل استفاد بيتاً في الجنة"².

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: "أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم"³.

وعن لقمان "يا بُنيّ، لا تعد بعد تقوى الله من أن تتخذ صاحباً صالحاً"⁴.

وعنه أيضاً: "يا بُنيّ، الصاحب الصالح خيرٌ من الوحدة"⁵.

أصناف الإخوان

إذا عرفنا أهمية اتخاذ الإخوة، لا بُدّ لنا من معرفة أصنافهم، إذ هم ليسوا على مرتبة واحدة، فكما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "الإخوان صنفان: إخوان الثقة وإخوان المكاشرة"⁶، فأما إخوان الثقة، فهم الكفّ والجنّاح والأهل والمال، فإذا كنت من أخيك على حدّ الثقة، فابذل له مالك وبدنك، وصاف من صافاه وعاد من عاداه، واكتم سرّه وعيبيه، وأظهر منه الحسن، واعلم أيّها السائل أنّهم أقلّ من الكبريت الأحمر، وأما إخوان المكاشرة، فإنّك تُصيب لذتكَ منهم، فلا تقطعن ذلك منهم، ولا تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم وابذل ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان"⁷.

فعلى الإنسان أن يكون حذراً في تشخيص الإخوان وتصنيفهم، وذلك باختبارهم قبل اتخاذهم إخواناً.

¹ المتقي الهندي، كنز العمال، 26442.

² الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال، ج 1، ص 182.

³ السيّد الرضي، نوح البلاغة، حكمة، 11.

⁴ محمد الري شهري، حكم لقمان، ص 110.

⁵ بحار الأنوار، ج 13، ص 428، ح 23.

⁶ المكاشرة في اللغة: من الكثر وهو ظهور الأسنان للضحك، وكاشرو: إذا ضحك في وجهه وبأسطه.

⁷ الكافي، ج 2، ص 193.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: "قدّم الاختبار في اتخاذ الإخوان فإنّ الاختبار يُفَرِّق بين الأخيار والأشرار"¹.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: "اختبروا إخوانكم بخصلتين فإن كانتا فيهم وإلا فاعزب ثمّ اعزب ثمّ اعزب، محافظة على الصلوات في مواقيتها، والبرّ بالإخوان في العسر واليسر"².

وقال لقمان: "ثلاثة لا يُعرفون إلا في ثلاثة مواضع: لا يُعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا يُعرف الشجاع إلا في الحرب، ولا تعرف أخاك إلا عند حاجتك إليه"³.

وعنه قائلاً لابنه: "يا بُنَيَّ، إذا أردت أن تُواخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه وإلا فاحذره"⁴.

من تُواخي؟

لقد عرفنا بشكل عام أنّ الأخوة الحقيقيّة الصادقة هي أخوة أهل الصلاح والثقة، ولكن ما هي معالم الأخوة الصادقة؟

1- العالم الربّاني:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: "عجبت لمن يرغب في التكلُّف من الأصحاب كيف لا يصحب العلماء الألباء الأتقياء الذين يفتنهم فضائلهم وتهديه علومهم وتزيّنه صحبتهم"⁵.

وإن قلت أنا لست عالماً فكيف أصحاب العلماء؟ نقول لك تُصاحبهم بحضور مجالسهم في المساجد وسماع مواعظهم، وإلا حُرمت من بركاتهم وأعرض عنك الله

¹ ميزان الحكمة، ح 283.

² م. ن، ح 286.

³ الري شهري، حكم لقمان، ص 109، عن الدرّ المنثور، ج 6، ص 520.

⁴ بحار الأنوار، ج 71، ص 426، ح 70.

⁵ ميزان الحكمة، حديث 10248.

تعالى وقسى قلبك، يقول الإمام السجّاد في تعليل بُعد الإنسان عن الله: "... أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلني"¹.

2- صحبة الحكيم الحليم:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: "صاحب الحكماء وجالس الحلماء وأعرض عن الدنيا تسكن جنة المأوى"².

3- الأخوة في الله:

فمن أمير المؤمنين عليه السلام: "خير الإخوان من كانت في الله مودته"³.

وعنه عليه السلام: "خير الإخوان من لم تكن على الدنيا أخوته"⁴.

4- المذكر بالله والمعين على الطاعة:

عن أمير المؤمنين عليه السلام: "المعين على الطاعة خير الأصحاب"⁵.

وعن لقمان قائلاً لابنه: "يا بُنيّ، تكلم الحكمة عند أهلها، وعليك بمجالسة أهل الذكر، فإنها محياة للعلم، وتُحدِّث في القلوب خشوعاً"⁶.

لا تؤاخ هؤلاء

1- الأحمق الكذاب: عن الإمام عليّ عليه السلام: "إياك وصحبة الأحمق الكذاب، فإنه يُريد نفعك فيضرك، ويُقرَّب منك البعيد، ويُبعِّد منك القريب، إن ائتمنته خانك، وإن ائتمنتك أهانك، وإن حدّثك كذّبك، وإن حدّثته كذّبك، وأنت منه بمنزلة السراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً"⁷.

¹ من دعاء أبي حمزة الثمالي، بحار الأنوار، ج 95، ص 87.

² ميزان الحكمة، ح 10245.

³ ميزان الحكمة، ح 264.

⁴ م. ن، ح 265.

⁵ م. ن، ح 13301.

⁶ حكم لقمان، ص 110.

⁷ ميزان الحكمة، ح 10280.

2- صاحب الغاية الدنيوية: عن الإمام الصادق عليه السلام: "احذر أن تؤاخي من أراذك لطمع أو خوف أو ميل أو للأكل والشرب، واطلب مؤاخاة الأتقياء، ولو في ظلمات الأرض، وإن أفنيت عمرك في طلبهم"¹.

3- الفاجر الشرير الفاسق: عن الإمام الصادق عليه السلام: "لا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره"².

وقال لقمان لابنه: "يا بُنَيَّ، استعذ بالله من شرار الناس، وكن من خيارهم على حذر"³.

وقال لقمان لابنه: "يا بُنَيَّ، لا تجالس الأشرار، فإنك لا تصيب من مجالستهم خيراً، ولعله أن يكون في آخر ذلك أن تنزل عليهم عقوبة فتصيبك معهم"⁴.

4- البخيل: عن الإمام الصادق عليه السلام: "إياك ومصاحبة البخيل فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه"⁵.

5- الكافر: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤاخي كافراً"⁶.

وتجدر الإشارة إلى أن عدم مؤاخاة الكافر غير الحربي لا تعني عدم القسط معه، فرب كافر أسلم لحسن تعامل المسلمين معه.

6- السباب الفحاش: قال لقمان "إن الفاحش البذي الشقي إن يُحدِّث فضحه لسانه، وإن سكت فضحه العي ، وإن عمل أساء، وإن فعل أضع..."⁷.

¹ ميزان الحكمة، ح 230.

² الشيخ الصدوق، الخصال، ص 80.

³ حكم لقمان، ص 110، عن العقد الفريد، ج 3، ص 152.

⁴ م. ن، ص 111، عن الدر المنثور، ج 6، ص 519.

⁵ بحار الأنوار، ج 71، ص 196، ح 29.

⁶ م. ن، ج 71، ص 197، ح 31.

⁷ محمّد الريشهري، حكم لقمان، ص 111.

7- صاحب اللّهُو: عن الإمام عليّ عليه السلام: "إيّاك وصحبة من ألهاك وأغراك فإنّه يخذلك ويوبقك"¹.

فإنّ مصاحبة أهل اللّهُو تُسبّب العدوى، حيث يزيتون لأصحابهم أفعالهم، ويمضون أوقاتهم بلا نفع ولا جدوى بل في الخسران والضياع.

8- الجبان: عن الإمام الباقر عليه السلام: "لا تُصادق ولا تؤاخ أربعة: الأحمق والبخيل والجبان والكذاب (إلى أن يقول) وأما الجبان فإنّه يهرب عنك وعن والديه"².

9- ناشر المثالب والنّمّام: عن الإمام عليّ عليه السلام: "لا تؤاخ من يستر مناقبك وينشر معائبك"³.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: "احذر من النّاس ثلاثة: الخائن والظلوم والنّمّام لأنّ من خان لك خانك، ومن ظلم لك سيظلمك، ومن نمّ إليك سينمّ عليك"⁴.

¹ ميزان الحكمة، ح 10276.

² بحار الأنوار، ج 71، ص 192، ح 8.

³ عيون الحكم والمواعظ، ص 519.

⁴ بحار الأنوار، ج 75، ص 230.

تمارين

1- أذكر الآية القرآنية التي تبين أنّ المعيار الأساسي للتفاضل بين الناس:

2. أذكر الرواية الشريفة التي تشبه المؤمنين بالجسد الواحد وأشرحها:

3. أبين لماذا يحثّ الدين الإسلامي بشدّة على اكتساب الإخوان:

4. الإخوان كما ذكرهما الإمام علي عليه السلام على صنفان أيّينهما وأتحدّث عنهما:

5- أذكر صفات وشمائل من ينبغي عليّ أن أصاحبهم ومن ينبغي عليّ أن أترك صحبتهم:

الدرس الثالث عشر: علاقة الإنسان بمحيطة الاجتماعى (3) - النظام العام

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يبيّن النظام قرين التقوى والإيمان.
- 2- يبيّن أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مصاديق النظام.
- 3- يعدّد أهم الآداب العامة التي ينبغي مراعاتها في الإسلام.

الإسلام دين النظام

إن الإسلام ينظم الحياة البشرية في مختلف ميادينها الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية، وقد بُني ديننا كُله على النظام، فالنظام هو محور حياة المسلم، بل الكون كُله يسير في نظام: البشر، الكائنات، الليل والنهار، السماء، الفلك.

فخلق الله عزّ وجلّ هذا الكون على أساس منظم، فوضع كل شيء في موضعه وجعل له مهمّة عليه أن يؤدّيها في هذه الدنيا، قال الله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾¹، وقوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾².

وكذلك نظرة الإسلام للنظام في تعاملات البشر واضحة، فالاستئذان شرط، ومن لا يؤذّن له لا يدخل: "إذا استأذن أحدكم فلم يؤذّن له - ثلاثا - فليرجع". ولأكل آداب منظّمة: "سمّ الله، وكل بيمينك، وكل ممّا يليك"، والالتزام بالعهود والعقود

¹ سورة يس، الآيات 37-40.

² سورة الروم، الآيات 22-24.

شرط: "المؤمنون عند شروطهم"¹، وفي السفر: "إذا خرج ثلاثة في سفرٍ فليؤمروا أحدهم"² ووصل النظام إلى ضرورة اختيار اسمٍ صالحٍ للأولاد بمجرد ولادتهم، ثمَّ حسن تربيتهم: "إنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ، فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ"³.

ووضع الإسلام كذلك قواعد في آداب التحيَّة والسلام: فيسلِّم الصغير على الكبير، والقليل على الكثير، والراكب على الماشي، والمأز على الجالس.

وفي الصلاة: "أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب، وسؤوا الخلل، ولينوا بأيدي إخوانكم، ولا تذروا فرجاتٍ للشيطان"⁴.

وفي الجهاد: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُيُوتًا مَرْصُومًا﴾⁵.

هذا هو الإسلام، نظامٌ في كلِّ شيء، منذ الولادة وحتى الموت، في التعامل الشخصي ومع الآخرين ومع الكون كلِّه.

النظام قرين التقوى والإيمان

أوصى الإسلام بنظم الأمور في مختلف جوانب الحياة الإنسانية، بأبعادها الفردية والاجتماعية بهدف الوصول إلى حياة أفضل وتحقيق امثال التكليف الإلهي، ويتجلَّى الالتزام بالنظام والانضباط بالتربية والالتزام بتعاليم الدين الحنيف التي جاءت لتنظيم الحياة الإنسانية وتأمين السعادة للمجتمع البشري كله، وهو ما أشار إليه الإمام علي عليه السلام في وصيته لولديه حيث قرن التقوى - التي تعبّر عن أعلى مراتب الإيمان والالتزام العملي بأحكام الشريعة وقوانينها - بالوصية بنظم الأمر، لأنَّه لا يمكن أن

¹ الشيخ الطوسي، الخلاف، ج2 ص9.

² سنن أبي داود، ج2 ص34، باب الجهاد.

³ كنز العمال، ج16 ص418.

⁴ سورة الصف، الآية 4.

⁵ السيّد الرضي، نهج البلاغة، الكتاب 49.

يكون الإنسان مؤمناً يتحلّى بالتقوى والإيمان دون أن يربّي نفسه على النظام، والالتزام بالحقوق والواجبات تجاه الله والناس، وإلا لا يتلي بالنفاق والكذب ما يؤدي إلى ضعف الإيمان والتدين. روي عن الإمام علي عليه السلام في وصيته لولديه الحسن والحسين عليهما السلام: "أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم"¹.

نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

اعتبر الدين الإسلامي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسمى الفرائض وأشرفها، وبهما تقام الفرائض، ووجوبهما من ضروريات الدين، ومنكره مع الالتفات بلازمه والالتزام به من الكافرين².

فيجب الأمر والنهي على كل من تتوفر فيه الشرائط من العلماء وغيرهم من الرجال والنساء، قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾³. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعنا منهم البركات، وسلطنا بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء"⁴.

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إذا أمتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله"⁵، وما المعروف إلا كل فعل حسن أوجبته الشريعة المقدسة أو نذبت إليه، فإن كان واجباً كان الأمر به واجباً، وإن كان مستحباً كان الأمر به مستحباً، وما المنكر إلا كل فعل كرهته الشريعة فحرمت فعله أو حثت على التنزه عنه وتركه، فإن كان المنكر حراماً كان النهي عنه واجباً، وإن كان مكروهاً كان النهي عنه مستحباً وراجحاً.

¹ السيد الرضي، نوح البلاغة، الكتاب 49.

² الإمام الخميني، تحرير الوسيلة، ج 1.

³ سورة آل عمران، الآية 104.

⁴ الحزّ العاملي، وسائل الشيعة، ج 16، ص 123، كتاب الأمر بالمعروف...

⁵ ن. م، ص 118.

ومن الواضح أن الدعوة إلى الفعل الحسن وعمل الخير، والنهي عن القبائح والمفاسد يعزز النظام والأمن والسلام والطمأنينة بين الناس في المجتمع.

وجوب مراعاة النظام في الفقه الإسلامي

أفتى الفقهاء المسلمون بوجوب الالتزام بمقررات نظام المجتمع، ولو كانت من دولة غير إسلامية، تجب مراعاتها على كل حال¹ وليس لأي أحد أن يضع في الشوارع والطرق العامة ما يضرُّ بالمارة ونحوهم، ولا بد من منع ذلك بأية وسيلة ممكنة ولو بتسجيل عقوبة مادية عليه لحفظ المصالح العامة وكذا الحال في وضع القذارات فيها، ولا ينبغي لأحد مخالفة النظام ولا سيما مع لزوم الإضرار بالجار². ومن الطبيعي وجوب المحافظة على أنظمة وقوانين مثل: شبكات الكهرباء والماء والهاتف العامة، وعلى أنظمة السير والبناء والضمان الصحي والبيئة، وغيرها مما له جنة مصلحة وفائدة اجتماعية عامة.

الإسلام ووجوب مراعاة الآداب العامة

جعل الإسلام كل مسلم مسؤولاً في بيئته الاجتماعية، يمارس دوره الاجتماعي من موقعه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته"³، ودعا صلى الله عليه وآله وسلم إلى الاهتمام بأمر المسلمين ومشاركتهم في أمالهم وآمالهم، فقال: "من أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس بمسلم"⁴.

وقد أولى الآداب العامة - التي ترتبط بالمجتمع وتمس حياة الناس وحقوقهم - أهمية قصوى، تبرز في مختلف مرافق الحياة منها:

¹ الإمام الخامنئي، أجوبة الاستفتاءات، ج2 ص324.

² السيد الخوئي، مجمع المسائل، ج1، ص399، م16.

³ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج72، ص38.

⁴ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص163.

النظافة العامة والشخصية

أمر الإسلام برعاية النظافة العامة والشخصية لما في ذلك من مظهر حضاري ومدني له العديد من الأبعاد التربوية بين الناس، عن النبي: "إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ"¹. وفي كلام آخر له صلى الله عليه وآله وسلم: "تَنْظَفُوا بِكُلِّ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَنَى الْإِسْلَامَ عَلَى النَّظَافَةِ وَلَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا كَلَّ نَظِيفٌ"². وعن الإمام الرضا عليه السلام: "من أخلاق الأنبياء التَّنَظُّفُ"³.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلما أراد الخروج إلى المسجد أو إلى لقاء أصحابه ينظر في المرآة ويرتّب شعره ويتعطر وكان يقول: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ عَبَدَهُ إِذَا خَرَجَ إِلَى إِخْوَانِهِ أَنْ يَتَهَيَّأَ لَهُمْ وَيَتَجَمَّلُ"⁴.

تنظيم الوقت

إن الاستفادة الصحيحة من الوقت هي من أهمّ الأمور التي توجب نجاح الإنسان في أموره الاجتماعية ونجاح علاقاته مع الآخرين، ويتم ذلك عبر قيام الإنسان بتنظيم برنامج شخصي له للعمل، وللتقافة وللزيارات، وإنّ عدم وجود نظام يسير عليه الإنسان يوجب ضياع الفرص وعدم الاستفادة السليمة من طاقة الإنسان واستثمار نتائج عمله. ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام: "اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش ، وساعة لمعاشرة الإخوان والثقات الذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن ، وساعة تختلون فيها للذاتكم في غير محرم"⁵.

¹ الريشهري، ميزان الحكمة ج10 ص 92.

² م. ن، ص93.

³ م. ن، ص94.

⁴ الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص35.

⁵ الشيخ الحزاني، تحف العقول: ص481.

تنظيم العبادة

في العبادة أيضاً لا بدّ من مراعاة النظم والانضباط، وذلك بأداء كل عبادة في أوّل وقتها، الصلاة جماعة، صيام شهر رمضان، وقضاء ما فاتته من الصوم في نفس السنة التي فات فيها، أداء الخمس والزكاة في وقتها، والحذر من الإفراط أو التفريط في العبادة.

الانضباط في المصروف

لا بدّ للمسلم من رعاية الوسطية في اللباس والطعام والمصروف فلا يقع في الإفراط ولا في التفريط بما يوجب الشحّ والبخل. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾¹.

وقد وضع الإمام الصادق عليه السلام مجموعةً من القواعد في باب الاقتصاد، ومن هذه القواعد قوله عليه السلام: "لا تكسل في معيشتك فتكون كالأعلى غيرك"². ووقوله عليه السلام: "ضمنت لمن اقتصد أن لا يفتقر"³.

الامتناع عن كل ما يزعم الآخريين

وذلك من خلال وضع حدود للحرية، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"⁴.

¹ سورة الإسراء، الآية 27.

² الشيخ الكليني، الكافي، ج 5، ص 86.

³ وسائل الشيعة، ص 64.

⁴ الشيخ الكليني، الكافي، ج 2، ص 334.

تمارين

1. أذكر رواية توصي بضرورة نظم الأمر في مختلف جوانب الحياة:

2. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسمى الفرائض، أبين معنى كل من المعروف والمنكر:

3. أبين رأي فقهاء الإسلام بموضوع مراعاة النظام العام في الدولة:

4- أذكر رواية تحثّ على ضرورة مراعاة النظافة العامة والشخصية:

5- أذكر آية قرآنية تبين وجوب عدم الإفراط ولا التفريط في صرف الأموال:

الدرس الرابع عشر: علاقة الإنسان بمحيطه الاجتماعي (4) - خدمة الناس

أهداف الدرس

على الطالب مع نهاية هذا الدرس أن:

- 1- يحدّد قيمة ومنزلة خدمة الناس والمؤمنين في الإسلام.
- 2- يستدلّ على خدمة الناس أفضل واع العبادة.
- 3- يذكر بعض الثّمار والآثار الطيبة لخدمة الناس.

خدمة الناس رحمة إلهية

من النعم الإلهية الكبرى أن يوفق الإنسان للقيام بخدمة أو معروف اتجاه إخوانه، لأنه لو اطلع على ما أعدّه الله تعالى له من عطاء أبدي لا ينفذ لأدرك أنّ الأمر بالعكس، بمعنى أنّ المحتاج والمخدوم هو الذي يسدي خدمة للخادم والباذل، لأنّه السبب في حصوله على هذه الهبة الرثائية الفريدة، وعليه ليس من الصواب أن تتاح فرصة لأحدنا بتقديم مساعدة للآخرين وقضاء حوائجهم فيفوّت تلك الفرصة.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: "تنافسوا في المعروف لإخوانكم وكونوا من أهله، فإنّ للجنة باباً يقال له المعروف، لا يدخله إلا من اصطنع المعروف في الحياة الدُّنيا، فإن العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكل الله به ملكين، واحداً عن يمينه وآخر عن شماله، يستغفران له ربّه ويدعوان بقضاء حاجته..."¹.

وفي الواقع من يطرق بابك محتاجاً إلى معاونتك فقد ساق رحمة الله تعالى إليك، وينبغي أن تستبشر خيراً وتقابله بوجه ملؤه البسمة والانشراح، فإن قدرت على إجابته وتلبية طلبه كان زيادة في حسناتك وذخيرة ليوم معادك، ومن غير اللائق استقباله بوجه عبوس ومنطق غليظ وأسلوب مهين، حتى مع العجز عن القيام بخدمته وإيصاله إلى مطلوبه، حيث لا يبرّر عدم القدرة على تلبية طلبه التعامل السيء معه، مع كونه سبباً من أسباب الرحمة كما في الحديث عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: "أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَتَى أَخَاهُ فِي حَاجَةٍ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ سَاقَهَا إِلَيْهِ وَسَبَّبَهَا لَهُ، فَإِن قَضَى حَاجَتَهُ كَانَ قَدْ قَبِلَ الرَّحْمَةَ بِقَبُولِهَا وَإِن رَدَّهُ عَنْ حَاجَتِهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى

¹ الكافي، ج 2، م. س، ص 195، كتاب الإيمان والكفر، باب قضاء حاجة المؤمنين، ح 110.

قضائها فإنه ردّ عن نفسه رحمة من الله عزّ وجلّ، ساقها إليه وسببها له، وذخر الله تلك الرحمة إلى يوم القيامة، حتى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها، إن شاء صرفها إلى نفسه، وإن شاء صرفها إلى غيره...¹.

وفي الوصية المتقدّمة حدّثنا الامام عن الثواب الجزيل المعدّ لأهل المعروف جزاء مشيهم وخطواتهم في حاجات إخوانهم مشيراً إلى الميدان الذي فيه تكون هذه التجارة الراجحة مع الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله عليه السلام: "من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا". فعلينا اغتنام هذه الفرصة الثمينة وتزيين صفحات وجودنا بما ولنا من الخالق سبحانه خير الجزاء.

خدمة الناس هي خدمة الله

جاء عن مولانا الصادق عليه السلام: "من قضى لأخيه المسلم حاجة كان كمن خدم الله تعالى عمره"².

يكشف لنا هذا الحديث الشريف عن عمق وحقيقة الخدمة الإنسانية مبيناً بأنّها خدمة إلهية طالما المراد بها وجه الله تعالى ونيل رضاه، وإلا لو كانت للتباهي وكسب مودة أصحاب النفوذ ورياء يراد بها وجه الناس، فليس هناك شك في عدم اعتبارها خدمة لله تعالى وإتّما خدمة للناس بغية نيل مكانة لديهم أو الحصول على منصب من مناصب الدنيا الفانية. يقول الإمام الخميني قدس سره: "ليهيء الأحمية الأعزاء أنفسهم لخدمة الإسلام والشعب المحروم وليشدّوا الأزرمة لخدمة العباد التي تعني خدمة الله".

¹ الكافي، ج 2، م. س، ص 239.

² عوالي الثالي، ج 1، ص 374.

خدمة الناس أفضل الأعمال

والخدمة طالما كانت خالصة لوجه الله تعالى فهي من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله عزَّ وجلَّ يقول الإمام الخميني قدس سره: "لا أظنَّ أنَّ هناك عبادة أفضل من خدمة المحرومين".

لقد كانت حياة الإمام قدس سره عامرة من بداياتها، إلى أن التحق بالملكوت الأعلى بخدمة المؤمنين والشعب المستضعف والعلماء والأصدقاء. ينقل بعضهم أنَّ الإمام الخميني قدس سره بعد أن تشرف بزيارة الإمام الرضا عليه السلام في إحدى المرات كان يترك رفاقه في الحرم المشرف يتعبدون إلى الصباح ويعود إلى المنزل لكي يهيئ لهم الفطور ويشتري الخبز ويقوم بخدمات المنزل الذي نزلوا به وحينما يسأله أحدهم لماذا لم تبق أنت في الحرم المطهر وتأمّر أحدنا بأن يعود إلى المنزل ويقوم بتهيئة الطعام، يكون جوابه قدس سره: "لم يثبت عندي أن البقاء في حرم الإمام عليه السلام بعد الزيارة أفضل من خدمة المؤمنين"¹.

ويحدّثنا مولانا الصادق عليه السلام عن هذه الحقيقة التي شاهدها في سلوك الإمام الخميني قدس سره وحياته العملية قائلاً: "لأن أسعى مع أخ لي في حاجة حتى تقضى أحب إليّ من أن أعتق ألف نسمة وأحمل على ألف فرس في سبيل الله مسرّجة ملجمة"².

وفي حديث آخر: "قال الله عزَّ وجلَّ: الخلق عيالي، فأحبهم إليّ ألطفهم بهم، وأسعاهم في حوائجهم"³.

ويحدّثنا مولانا الباقر عليه السلام عن مدى حبّه وتفضيله لخدمة المحرومين حيث يقول: "لأن أعول أهل بيت من المسلمين. أسدّ جوعتهم وأكسو عورتهم، فأكف وجوههم عن الناس أحب إليّ من أن أحج حجة وحجة ومثلها ومثلها حتى بلغ عشرًا ومثلها ومثلها حتى بلغ السبعين"⁴.

¹ مجلة بقیة الله، العدد 140، ص43.

² العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج74، ص316.

³ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص199.

⁴ م.ن. ص195.

الثمار الطيبة لخدمة الناس

ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام بيان كافٍ ووافٍ للآثار المترتبة على خدمة الناس باختلاف أشكالها وأساليبها، ومن هذه الآثار:

- الأمن يوم القيامة: روي عن مولانا الكاظم عليه السلام أنه قال: "إنَّ لله عبادةً في الأرض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة"¹.

- ألف ألف حسنة: روي عن الإمام الباقر عليه السلام: "من سعى في حاجة أخيه المسلم طلب وجه الله كتب الله له ألف ألف حسنة"². نلاحظ هنا أن هذا الأثر الأخروي مترتب على السعي حتى وإن لم تقض الحاجة، فلو بذل الإنسان وسعه وسعى ليقضي حاجة أخيه فلم يوفَّق كان له هذا الأثر فكيف لو قضيت؟ وكذلك يشير هذا الحديث الشريف إلى مسألة طلب وجه الله تعالى بذلك لا طلب وجه الناس والدنيا.

- ثواب عبادة تسعة آلاف سنة: روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "من سعى في حاجة أخيه المؤمن فكأنما عبد الله تسعة آلاف سنة، صائماً نهاره قائماً ليله"³.

- كان الله في حاجته: روي عن الإمام الصادق عليه السلام: "من كان في حاجة أخيه المؤمن المسلم كان الله في حاجته ما كان في حاجة أخيه"⁴.

- استغفار الملائكة له: جاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: "إنَّ العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن، فيوكل الله عزَّ وجلَّ به ملكين: واحداً عن يمينه وآخر عن شماله، يستغفران له ربَّه ويدعوان بقضاء حاجته"⁵.

¹ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج74، ص319.

² الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص197.

³ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج74، ص315.

⁴ الشيخ الطوسي، أمالي الطوسي، ص97.

⁵ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص195.

- ثواب المجاهدين: روي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: "من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله"¹.

- ثواب السعي بين الصفا والمروة: روي عن الإمام الصادق عليه السلام: "الماشي في حاجة أخيه كالساعي بين الصفا والمروة"².

- كمن عبد الله دهره: روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من قضى لأخيه المؤمن حاجة كان كمن عبد الله دهره"³.

- الفوز بالجنة: روي عن الإمام الصادق عليه السلام: "ما قضى مسلم لمسلم حاجة إلا ناداه الله تبارك وتعالى: عليّ ثوابك، ولا أرضى لك بدون الجنة"⁴.

- تمون عليه سكرات الموت وأهوال القبر: روي في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: "من كسا أخاه كسوة شتاء أو صيف كان حقاً على الله أن يكسوه من ثياب الجنة، وأن يهون عليه سكرات الموت، وأن يوسع عليه قبره، وأن يلقي الملائكة إذا خرج من قبره بالبشرى"⁵.

- قبول الأعمال: روي عن مولانا الكاظم عليه السلام: "إنّ خواتيم أعمالكم قضاء حوائج إخوانكم والإحسان إليهم ما قدرتم وإلا لم يقبل منكم عمل"⁶.

¹ الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال ص340.

² الشيخ الخزازي، تحف العقول، ص303.

³ ميزان الحكمة، حديث: 4461.

⁴ م.ن. حديث: 4465.

⁵ الشيخ الكليني، الكافي، ج2، ص204.

⁶ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج75، ص379.

تمارين

1- أذكر رواية تبين أنّ خدمة الناس هي خدمة الله أيضاً.

2- أشرح كيف أنّ خدمة الناس أفضل الأعمال وأحبّها إلى الله.

3- أذكر ثمريتين من الثمار الطيبة لخدمة الناس.

4- أبين رأي الإمام الخميني قدس سره في موضوع خدمة الناس وقضاء حوائجهم.
